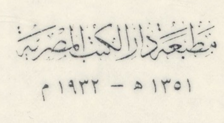
أميرة الأندلس

تأليف

احمد شوقي بك




مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م



تأليف

احمد شوقي بك



١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م

تمهيد

(١) زمن الرواية : عصر ملوك الطوائف .

(٢) مكان الرواية : اشبيلية، أغمات .

(٣) أشخاص الرواية :

المعتمد بن عباد ، ملك اشبيلية .

الرميكية ، الملكة .

العبادية ، أم المعتمد .

بثينة ، بنته .

القاضي ابن أدهم ، قاضي القضاة .

الأمير حريز ، من أبطال الأندلس .

الأمير بولس ، شقيق ملك الأسبان .

أبو الحسن ، تاجر باشبيلية .

حسون ، ابنه .

ابن حيون ، من الأدباء .

أبو القاسم ، من الأدباء .

مقلاص ، مضحك الملك .

لؤلؤ
جوهر ، من حجاب الملك .

ابن شاليب ، رسول ملك الأسبان .

الباذ بن الأشهب ، لص شهير .

أمراء

جند

الخ ...

رواية أميرة الأندلس

مقدمة

جرت حوادثُ هذه القصــة فى زمنٍ كان قطعة من ليل الملمات . أخذت الأندلسَ فى جنحها الحالك ثم تركته نظْما منحلا وركنا مضمَحِلا ، وشمسا من دول الإســلام سقُمت فألح عليهــا السقْم فاحتضرت ، فكانت لهــا فى الغــرب هِــدّة وكانت عليهــا فى الشرق ضَجــة . وخلال تلك القطعة من ليل الملمات كان الأندلُس تحت ملوك الطوائف ، وكان هؤلاء الملوكُ على شرفِ بيوتِهم وتمــيز شخصياتهم ونبوغهم فى كل علمٍ وأدب أصحابَ بذخٍ وترف وأخدانَ صبْوة وخلاعةٍ ، لاحظ لهم من همة الملك ولا نصيب

من مراشد السلطان . و إنك لتعجب من انغماسهم فى اللذات ونسيانهم لذكرِ العواقب ، وهم أتعبُ خلقِ الله وأكثرُ الملوك ركوبا للغرَر، واستهدافا للخطر، ومشيا على الحبائل والحفر، فأما فى داخل دويْلاتهم فكيد وائتمار ، وفتنة نومها غِرار، وسيفها فى الغِمد قليل القرار ، حتى لا تكاد الشمس تطلع إلا على ملِكٍ مخلوع ولا تغرب إلا على ملِكٍ مقتول، وأما فى الخارج فكنتَ ترى هؤلاء الملوكَ بين نارين تتواعدان، وبين سيلين يتهددان : فملك الأسبان الفونس يتجنّى و يعتدى ، و يضرب الجزية و يفرض الإتاوات، ويبعث لأخذ الأموال جباةً أهلَ غِلْظة وقِحةٍ، وصاحبُ مُرّاكش يوسفُ بن تاشفين هو وقوّاده ووزراؤه مشغوفون بالأندلس يمطرونه الرسل والرسائل إلى قضاتِه وفقهائه ، مهيئين بذلك لفتح بنوْا عليه الرجاء وعلقوا به الآمال . وكان ملوكُ الطوائف يخافون جارهم هذا المسلّحَ المتوثبَ سلطانَ المغرب و يرجونه

فكان تملقهم له لا ينقطع ، وكانت الأموال تحمل إليــه فى صورة المعونة ، وكانت الرِّشى تقــدّم لوزرائه ورؤساء دواتــه فى صورة الهدايا والألطاف ، وكل هذا المــال إنمــا كان يجمع من المكوس والمغارم ! فتخيّل كيف كان بؤس الرعيــة ، وتأمل كيف تذهب معالم البلاد بين عبثِ الفرد وغفلة الجماعة ... ولقد كان على قرطبة وهى حاضرة الملك أن تحمِل شطر هــذا البلاء فلم تلبثْ أن انحطت عن ذلك المكان العالى الذى كانت فيه دار الخلافة ومطلع القصرين الدمشــق (١) والرصافة فصــارت كرسيّ إقليم وقاعدةَ دويْلة وعرشَ ملك صغير يؤدّى الجزية ولا يُحِس لها ذِلة ولا هوانا .

---

(١) قصور الخلفاء الأول من بنى أمية فى قرطبة .

الفصل الأول

المنظر الاول

« مقصورة من مقاصير البديع "قصر المعتمد بن عباد" فى إشبيلية »
« وإلى يمينها مصلى وفى مؤخرها ستار كبير يحجب . وقد وقف على »
« بابها جوهر حاجب بن عباد ولؤلؤ ساقيه ومقلاص مضحكه »

جوهر [إلى لؤلؤ] : كيف وجدتَ وجه الملك اليومَ يالؤلؤ ؟

لؤلؤ : كسنّتِه، يفيض من البَشاشةِ والبِشْرِ .

جوهر : بل أنت واهم يالؤلؤ ! إن وجه الملك تغير فى هذه الأيام وبدا عليه التغضن وأثّرت فيه الهمومُ أثرَها الظاهرَ المبين .

مقلاص : كان الله عونَ الملِك، إنه ليحمل من هموم المُلْك وأكدارِ السياسةِ ماتنوء به الجبال، لعن الله السياسة وقبّح الوِلاية، ولا جعل لى من أشغالها نصيبا .

جوهر [يضرب بيده على حدبة مقلاص] : وأىّ نصيب كنت تؤمِّل من أمور الدولة يا مقلاص حتى سألتَ الله أن يحرمك منه ؟

مقلاص [ملتفتا] : دعنى من هذيانك يا جوهر وانظر : هذه الأميرةُ أقبلتْ كأنها البدرُ فى الليلةِ الظلماء أو كأنها الظبىُ يتخطّر على الحصباء .

[تدخل الأميرة بثينة]

بثينة : يا بشراىَ ما هذا الحظُّ العظيم ، أصدقائى الثلاثةُ ههنا ، يجمعهم باب الملك : جوهر حاجب الملك ، ولؤلؤ ساقى الملك ، ومقلاص .

مقلاص [مقاطعا] : مقلاص المهرجُ الساقِطُ والمضحِكُ الوضيع .

الأميرة [بثينة] : لا تقلْ هذا يا مقلاص ! ولكن قل نديمُ الملك ، وصديقُ ابنته بثينة .

مقلاص : أنا مقلاص المهرجُ صديقُكِ أنتِ يا أميرة إشبيلية ، بل يا مليكة الأندلسِ ، بل يا شريكة الشمسِ فى عرشِ الوجود ؟ !

الأميرة : أعرفتَ الآن مكانك ؟

مقلاص : عرفته يا سيدتى و إنى به لمزهوٌّ فخور .

الأميرة : إذا فاعلم أيضا أن هذا الحاجب جوهر قد يأذن على الملكِ لرجالٍ يكره لقاءهم و يغُمّه رؤيتُهم وسماعُهم .

مقلاص : أمّا أنا يا سيدتى فما وقفتُ على باب الملكِ مرة إلا حجبتَ عنه الفِكْر والغمّ .

الأميرة : وهذا الساقى يا مقلاص .

مقلاص : هذا الساقى يا مولاتى يقبض كل يومٍ من دِماغِ الملك شعاعا ، ولولا أنّ دِماغه الشريف كالشمس التى لا تنفَدُ أشِعّتُها لكان اليوم جُمْجُمةً لا عقل فيها كأكثرِ هذه الرءوسِ التى نراها فى الطرقات .

الأميرة : وأما أنتَ يا مقلاص فتسقِى الملك كلَّ ساعةٍ من رحيقِ مَزْحِك ودُعابتِك ما يملؤه غِبْطة وعافية وسرورا .

جوهر [مقاطعا — متدخلا] : لقد إستأثرتَ يا نديم الملِكِ و يا صديقَ الأميرةِ .

مقلاص [مغضبا] : بالرغِم من أنفِك !

جـوهر : لقـد آسـتأثرتَ يا مقلاصُ بحـديثِ الأميرةِ فتنحَّ ساعةً واترك لنا فَضْلةً من الشهد .

جوهر [للأميرة] : مولاتى ، سـيدتى ، بثينة أيةَ وحشـةٍ خلَّفْتِ فى القصرِ يا مولاتى .

الأمـيرة : أو أبدًا تبالغ ؟

جـوهر : كلا يا مولاتى ! هى كلمةٌ طافتْ بالقصرِ منـذ افتقدناكِ هذا الدهرَ الطويل .

الأمـيرة : أتعـدُّ الثلاثةَ الأيام دهرًا يا جوهر ؟ ألم أقل لك إنك تبالغ كثيرا ، لِمَ لمْ تسألنى يا جوهر أين كنت؟

جـوهر : أعلم أنكِ كنتِ فى قرطبةَ يا مولاتى .

الأميرة [وتبتسم ابتسامة سخر] : أجل كنتُ فى مُلكنا الجديد يا جوهر .

جـوهر : وكيف وجدته ؟

الأميرة : العنوانُ قبّة . والكتاب حبّة .

جـوهر : أرجو ألا يكون غرامُ الأميرةِ بأشبيلية وطنِها الغالى ومهدِها العزيزِ قد أنساها ذِكر الفضلِ لقرطبةَ دارةِ الملكِ الأولى ومهدِ الفتح والعمران و ... .

الأميرة : أجل . وسماءِ الرعودِ والعواصفِ ووَكرِ الفتنِ والقلاقلِ... آهِ من قرطبة وبُغاءاتِها يا جوهر ، وويلى على أخى الظافر من هذه الولايةِ الحمراءِ التى لم يقلّدها أميرٌ الا قتِل أو عزِل... عرشَ يضطرب تحت كلِّ جالس ، وتاجٌ لا يستقِر على رأسِ كلِّ لابس .

مقلاص : مولاتى !

الأميرة : مقلاص . أشبيليةُ وأبى وأنت كانتْ ذكراكُم ملءَ خاطرى فى قرطبةَ ، هل من دُعابةٍ جديدةٍ يامقلاص تُنسِينِى مالقِيتُ من الغم والكدر على تلك العاصمةِ الثانيةِ لملكنا السعيد .

مقلاص : لا تقولى هـذا يامولاتِى فيَغضبَ القرطُبيون ؛ إنهـم لا يُقَدِّمون على مدينتِهم حاضرةً من حواضرِ الدنيا ولو كانت دمشقَ أو بغدادَ فكيف يرضون أن تكون الثانيةَ لأشبيلية وما مدينتنا فى زعمِهم الا بلدُ الخلاعةِ والمُجون .

الأميرة [ضاحكة] : وأين قرطبةُ منا الآن ، وأين القرطبيون يامقلاص و بيننا و بينهم سَفَرٌ شاقّ طويل؟ تُرى من علّمك كلَّ هذا الحرصِ ومن أين لك كل هذا الدهاء !

مقلاص : هى الأيامُ يا أميرتى . هى الأيام . وهذا السيفُ ماذا ... كنتِ تصنعين به يا مولاتى ؟

الأميرة : كنتُ أتقى بهِ عوادى الفُجاءات .

مقلاص : وهذا اللثام ؟

الأميرة : كنت أذود به عنى العيونَ والظنونَ فى بلدٍ ضيقِ الصدْرِ مُبلَّدِ العقلِ ، شتان بينه و بين أشبيلية ذاتِ العقلِ الواسع والصدرِ الرحيب .

الأميرة [لجوهر] : لقد نسيتُ يا جوهر ذكر واجبٍ كان عليّ أن أُقدّمه قبلَ كل شيء .

جــوهر : وما ذاك يا سيدتى ؟

الأمــيرة : السؤالُ عن الملك .

جــوهر : هو يا مولاتى بخير . أبدًا يسألُ عنكِ .

الأمــيرة : وأين هو الآن ؟

جــوهر : هو فى الصلاةِ يا سيدتِى .

الأميرة [تطرق فى تأثر ثم تقول] : يا ويحَ أبى لقد نظرت اليه وهو فى قصرِ السوسانِ الضيق الصغير بقرطبةَ فوجدتُه كئيبا متململا كأنَّ تلك السقوفَ المنخفضَة لم تكن تليق برأسِه العالِى وكأن تلك الحجــراتِ الضيقة لم تُصنع لعينِه الساميــة الطمّاحة . وكأنمــا كان يَرى الزهراء أولى بأن تُقلّه . وأجدرَ بأن تُظله . وهنــاك دنوتُ حتى صرتُ خلفــه بحيث أسمعه ولا يرانى . فسمعته يقول وكان وحده فى الحجرةِ مطلا من

نافذةٍ يلقِي نظرَه على قُرطبةَ .

جوهر [باهتمام] : وماذا كان يقول يا مولاتى ؟

الأميرة : كان يقول : قرطبة ... مُلْك جديد أُضيفَ الى ملكِ أشبيلية ، ما أصغر المضاف والمضاف اليه . أنظر ابنَ عباد الى العرشِ كيف صغر ، والى الصولجان كيف قَصُر ، والى المُلْكِ كيف اختُصِر ، وتأمل مكان الحكَمِ فى قرطبة كيف سُدّ اليوم بالمعتمدِ ، ومجلسَ الناصرِ كيف شُغِل بابن عباد .

جوهر : نحن بانتظار القاضى بنِ أدهم يا مولاتى .

مقلاص [متداخلا] : لعله هذه الكرنبة التى تتدحرج من بعيدٍ منحدِرَةً الينا ،

الأميرة [مستضحكة لجوهر] : استقبل أنتَ يا جوهر القاضى وأدخِلْه على أبى فان قضاة الأندلسِ لا يستأذن لهم على ملوكه .

الأميرة [ثم لمقلاص] : وأنت يا مقلاص . أعرفتَ أنى وجدتُه .

مقلاص : وما ذاك يا مولاتى ومن هو ؟

الأميرة : أنسِيت يا مقلاص حين تقولُ لأبى بِمَسْمع منى إن الزوجَ الكفءَ لبثينة لم يُخلق بعد لا فى الأندلس ولا فى غيره .

مقلاص : لا لم أنس يا مولاتى . قلتُ هذا ولا أزال أعيدُه .

الأمــيرة : إذا فاعلم أن الزوجَ الذى يَصلح لى قد خُلِق .

مقلاص : ومن ذاك ؟ ما آسمه وأين هو الآن ؟

الأمــيرة : كل هذا تعلمه بعد حينٍ يا مقلاص . تعالَ معى الآن،
اتبعْنِى ودعْ جوهر ولؤلؤ يستقبلان القاضى الجليل ...

الأميرة [الى جوهر] : فى حفظ الله يا جوهر .

الأميرة [الى لؤلؤ] : فى حفظِه يا لؤلؤ .

جوهر ولؤلؤا معا : فى ذمة اللهِ وكلاءَتِه يا مولاتى .

الأمــيرة : لا تَنسيا أن تذكرانى عند الملك وأنى رهنُ إشارتِه .

[تخرج الأميرة مع مقلاص] .

جــوهر : أشكر الله أن أخّر مجىءَ القاضِى .

لــؤلــؤ : كذلك كنتُ أحدّث نفسى وأخشى على مولاتى فى زيها
هذا من عين الشيخ ولسانه .

[يظهــــر الملك] .

الملك : هل جاء القاضى ابنُ أدهم يا جوهر ؟

جوهر : أجل يا مولاى رأيتُه فى ساحةِ القصرِ .

لؤلؤ : وقد عادت الأميرةُ من قرطبةَ يا مولاى .

الملك : أوعادت الآن ؟

لؤلؤ : أجل يا مولاى .

الملك : أهى بخير؟

لؤلؤ : بأتم عافيةٍ يا مولاى .

الملك : إذا انتهى ابن أدهم من زيارتهِ فأتِ بها إلىّ .

لؤلؤ : أمرُك يا مولاى .

[يخرج لؤلؤ] .

الملك : وعليك يا جوهر أن تَستقبِل ابنَ أدهم وتأتينى فى أوفرِ بشاشةٍ وتعظيم .

[يخرج جوهر ثم يرجع يتقدّم القاضى]
[ابن أدهم وينادى من باب الحجرة]

جوهر [مناديا من الباب] : القاضى ابنُ أدهم .

القاضى : السلام على الملك ورحمة اللهِ و بركاته .

الملك : وعليكم السلامُ أيها القاضى ومقدِم الخير، فقد علمتُ أنك كنتَ نزيل المغربِ فى الأيامِ الأخيرةِ وكنتَ به ضيفا على أمير المسلمين يوسفِ بن تاشفين .

القاضى : هو ذاك يا مولاى .

الملك : فكيف الحوادثُ والأحوالُ هناك ؟

القاضى : عندى من ذلك الشيءُ الكثير وسأذكره فى مجلسٍ تالٍ يأمر به الملك ولا أذكر الآن إلا رسالة حملَنيها الأمير سِيرى بن أبى بكر .

الملك : وما هى أيها القاضى ؟

القاضى : أو يعرف الملكُ الأميرَ سِيرى ؟

الملك : كيف لا أعرفه ! هو كافلُ الدولةِ المغربيةِ وكبيرُ وزراء السلطان وقائدُ جيوشهِ الأكبر . وما يبتغِى منى الأميرُ أيها القاضى ؟

القاضى : إنه يخطب إليك الأميرةَ بثينة .

الملك : ألشخصه يخطبها أم لواحدٍ من أولاده فهم فيما أعلم كُثْر وأصغرهم فيما أذكر يوافق ميلادُه ميلادَ بثينة .

القاضى : بل يخطُبها لنفسه أيها الملك .

الملك : إن هذا عجيبٌ أَيَّها القاضى ... ... وما كان جوابُك ؟

القاضى : قلتُ له إن الملكَ ابنَ عباد يذهب ببنته بثينة كلَّ مذهبٍ ولا أظنّ قلبَه يطاوعه على تزويجها فى الغُربةِ وإخراجِها الى بلادٍ بعيدة .

الملك : أحسنتَ أيها القاضى . فما هذا زواج ... إن هذا إلا قبرٌ أخطُّه بيدى لبثينة . على أننى مُحضِر إليك بثينةَ لتحدّثها وتسمعَ منها .

الملك [الى جوهر] : جوهر . جئنا بالأميرة يا جوهر .

[يختفى جوهر لحظة ثم يعود بالأميرة]

الأميرة : أبى !

الملك : بنيتى !

الأميرة : أطلبتَنِي يا أبي ؟

الملك : تعالىْ بثينةُ حيِّ عمكِ القاضى ابنَ أدهم .

الأميرة : السلام عليك يا مولانا القاضى ورحمة اللهِ و بركاته .

القاضى : وعليكِ السلام يا بنتَ أكرمِ الملوك . تعالىْ خذى مجلَسكِ بين أبيكِ وعمك .

الملك : مع من عدتِ من قرطبة ؟

الأميرة : مع لِثامِي وجوادى .

الملك : وكيف وجدتِ قرطبة ؟

الأميرة : وجدتُ طرقاتِها تموج بالفقهاءِ يعرفهم الناظر بِزِيِّهم فذكرتُ عندئذٍ شُهرة هذا البلدِ بالفتنةِ والتشغيبِ وجرأة أهلهِ على أمرائِهم وحكامهم وأشفقتُ منه على أخى الظافر، وإن كنتُ واثقةً بحزمهِ وعزْمهِ .

القاضى : ومن أنبأكِ أيتها الأميرةَ أن الفِتْنة والشَّغَب يجيئانِ من ناحيةِ الفقهاء ؟

الأمـيرة : لم يبق سِرًّا يا سيدى القـاضى أن الفقهاء يُعلّقون سَـعادةَ الأندلسِ وخلاصَـه بالقائه فى أحضان جيرانِه سـلاطين المغـــرب .

القـاضى : وأنتِ يا بنتَ ملوكِ المسلمين، أما تجدين ما يطلبُه الفقهاءُ فى قرطبةَ أجدى على الأندلسِ من بقائِه على الحالِ التى هو فيها مُشرِفا على التَّلَفِ والضياع ؟

الأمـيرة : لا يا سيدى القاضى ليس فى الحق أن يَغتصِبَ جماعة من المسلمين أوطانَ جماعةٍ غيرِهم من المسلمين فان الوطنَ هو كالبيتِ فى قداسته وكالضيعةِ فى حرمتِها .

الملك [متدخلا فى الحديث] : لقد بعثتُ يا بثينة فى طلبِكَ لغير هذا الشأن وفى أمرٍ ذى بال و إنى أترك للقاضى التحدّثَ معكِ فيه .

الأميرة [ملتفتة الى القاضى] :

تكلمْ يا عمُّ فكلى إصغاء ؟

القـاضى : لقد خطبكِ الى أبيك رجل من عظماء الإسلام فى هــذا

الوقت هو الأمير سيري بن أبي بكر وزير الدولة المغربية .

الأميرة : أفارغ هو أم مشغول يا سيدي القاضي ؟

القاضي [في حيرة] : بل له من الأزواج ثلاثٌ وستكونين الرابعةَ وستكونين المدلّلة المهدّدَة من بين أزواجه .

الأميرة [في غضب] : إنك يا سيدي القاضي تدعوني الى خُطةٍ لا أنا مضطرة فأحمل النفس الكارهة على قبولها ولا الأميرُ ابنُ أبي بكر معطل البيتِ من الربةِ الصالحةِ فيتشبثَ بها ويُصر عليها ، بل تلك خطة لم أجد أبويَّ عليها ولم آلف رؤية مثلها في حياةِ أسرتي : فهذا أبي جعلني الله فداءه لم يتخذ على أمي ضرّة ولم يكسر قلبها بالشريكةِ في قلبه فجاءت بنا أولاد أعيان ، نجتمع في جناحِ الأبوّة ولا نفترق في عاطفةِ الأمومة ، ولو شاء أبي لكان له كنظرائه الملوكِ والأمراءِ نساءٌ كثير ولكان له منهن بنو العلات تحسبهم إخوة وهم أنصاف إخوةٍ من كل دجاجةٍ بيضة ومن كل شاةٍ حمل .

القاضي [متلطفا] : شهد الله لقد أحسنتِ يا ابنتي . ولكن مصلحةُ الملكِ أنسيتِها ونصرةُ الوالد أغفلتِ عنها . وسلامةُ الأندلسِ أأهملتِ شأنها ؟

الأميرة : لا يا سيدى القاضى كلُّ ذلك فى المحل الأولِ من نفسى واهتمامى ولكننا مختلفان فى النظر فأنت ترى أن الأندلس لا ينهض من كبوتهِ إلا اذا مدّ السلطان اليه يده وأنا أتخيلها يدَ الذئبِ يمدّها الى الحمَلِ ، وأنتَ يا سيدى القاضى قد أخذك اليأس فى أمر الأندلسِ وأنا كلى رجاء ولا أستبعد أن تتهيأ لأبى ، وهو كهف الأندلسِ وملاذه ، الفرصةَ لجمْع الكلمةِ وضربِ الأفرنج ضربة تُريح العربَ منهم السنين الطِوال وأنتَ تعلم أن تاريخ الأندلس مفعَم بالفجاءات السعيدةِ من هذا الطِراز .

القاضى : يُريد الله بكم اليسرَ ولا يُريد بكم العسرَ ، ولقد رددتُ عنكِ أيتها الأميرة وعن أبيكِ الملكِ وأحسب أنى أحسنتُ الردّ .

الملك : كل الإحسان أيها القاضى .

القاضى : الآن لم يبق إلا أن أنصرف .

الملك : مشيَّعا بحفظِ الله و رعايته .

[ينصرف القاضى و يشيعه الملك]

الملك [للقاضى] : كيف تجدُ بثينة يا ابنَ أدهم ؟

القاضى : بورِك لك فيها وبورِك للأندلسِ فى عقيلته ! إنى أجدُها روحَ الوالدِ وأرى عليها طبعةَ الزمنِ وحضارةَ الجيل .

[يعود الملك ومعه مقلاص بعد أن يودع القاضى]

الملك : أعلمتَ يا مقلاص؟ أسمعتَ أن سيرِى ابن أبى بكر يخطبُ الىَّ بثينة ؟

مقلاص [ملتفتا الى بثينة بصوت خافت] : أهذا الذى وجدتِه ياسيدتى ؟ إنى لا أهنيك بتيْس المغرب .

الأميرة : لا يا مقلاص إن الذى وجدتُه هو غزال الأندلس لا تيْس المغرب .

الملك : خبريني يابثينة ماذا وجدتِ في قرطبة .

الأميرة : حال من القَزارةِ نتنزه عن مثلهِ أشبيلية .

الملك : هذا من توالى الفتنة والاضطرابِ على الناسِ حتى شُغلوا عن تنظيفِ مدينتهم التي كانتِ المِثالَ المحتذى بين المدن نظافة ونظاما ... ثم ماذا ؟

الأميرة : راعتنى قصورُها المهجورةُ الموحِشةُ كأنها الأطلال .

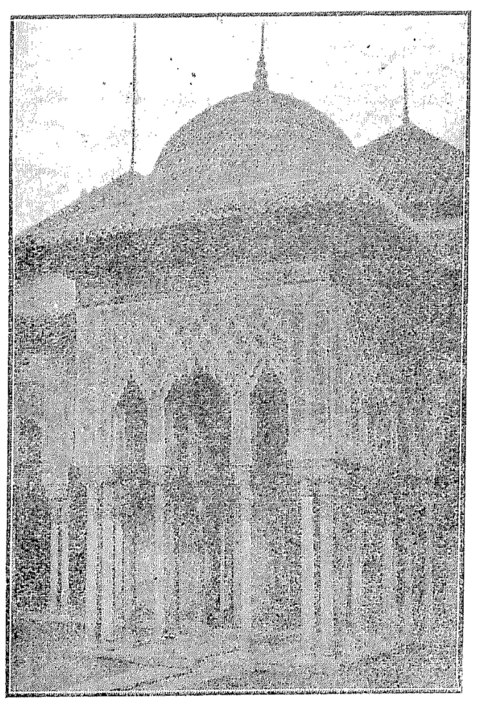
الملك : هذا من انقراضِ الوارثين أو ضيقِ نعمتهم عن سكنى الدورِ الواسعة وصِغرِ أقدارهم عن نزولِ المنازِلِ الرفيعة .

[يظهر على بثينة التأثر والاغتمام] .

الملك : ماذا غمّكِ يا بثينةُ ؟

الأميرة : تذكرتُ يا أبى قصورَنا بجزعت ، قلتُ : الزاهى ترى ما نصيبه ، والتاجُ ما ذا غدا يصيبه ، والبديعُ ما يكون مصيره ، والمؤنس هل توحش مقاصيره ؟

الملك : بنيتي خلى عنكِ هذه الهواجسَ ، ولا تحملى على الشبابِ



قصـــر من قصـــور الأندلس

العُبوس والهمّ فانه لم يخلق لها . إصرفى الشبابَ الى الضحِك والغِبْطةِ فانهما طبيعته وديدنه . ألا نعود لحديث قرطبة . خبريني كيف وجدتِ أسواقَها ؟

الأميره : دون أسواقِ أشبيلية حركة ونشاطا إلا سوقَ الكتب فلا أحسب بغدادَ أقامت مثلها ، دخلتُها ياأبى فلبثتُ فيها ساعة أتأمّل ما يقع فى جوانبها وأشهد النداء على نفائسِ الكتب وذخائرِ المخطوطات ، وهى فى أيدى الناسِ يقلّبونها فى اعتناءٍ و إشفاقٍ كأنها كرائم التجارةِ فى أسواق الجوهر .

الملك : وهل كنتِ تهتمين بكتابٍ هناك ؟

الأميره : أجل ياأبى . نُودىَ على رسالةِ المنجم الضبىّ ، التى سماها : هل القمر مسكون ، وكنتُ سمعتُ بها وكنتُ أريد إحرازَها فسرنى الظفرُ بها ، وكان بالقربِ منى فتى حسنُ الهيئةِ ظريفُ الثيابِ هو لا شك من بنى البيوتات ، وكان ينازعني الرغبة فى الرسالةِ فلم يزل يزيد فيها وأنا أحرجه

فأزيد حتى بلّغها الى خمس مائة دينار فقبضتُ يدى فرجع اليه المنادى فأخذ المالَ وناوله الرسالة .

الملك : لا أظنّ حرص الشابّ على الرسالة إلا للمباهاة ، ولكى يقال عنده خزانة كتبٍ حوتْ كل ثمينٍ ونادرٍ حتى رسالة المنجم الضبيّ فان الشهرةَ فى قرطبة من قديم الزمان أن يتنافس الناس فى اتخاذ الخزائنِ للكتب حتى الذين لا علم لهم بما فيها .

الأميرة : ظلمتَ ياأبى غريمى الشابّ فقد كنتُ ألحظ عليه الحرص على الرسالة والسعىَ لإحرازها حتى ما بقى فى نفسى شك أن الفتى من أهل المعرفة والإطلاع .

الملك : وكيف هو يابثينة : ما شكله؟ ماصفته ؟

الأميرة : شاب يناهز الثلاثين ، جميل وقور يشبهك يا أبى أو كأنه أخى الظافر وما كان أعظمَ أدبَه ومروءَته فانه حين غلبنى على الرسالة بادر فقال : أيها الفتى الملثم ! إن كان اعتناؤك

بهـذه الرسالةِ شديدا كما رأيتُ فعرفني بموضعِ إقامتك وأنا أستصنع منها نسخة وأبعثُ بها اليك . فشكرتْ واعتذرتُ بكثرةِ أسفارِي فى الأندلسِ فانطلق شديدَ الفرح بمـا نال وكان جواده بانتظارِه فاعتـلاه فواللهِ يا أبى ما رأيتُ قط بعدَك و بعد أخى الظافر أرشقَ وثُوبا على جوادٍ ولا أحسنَ قياما فى صهْوةٍ من غريمى الشاب .

الملك [مبتسما وهو يضع يده على كتفها] : أخشى يا بثينة أن يكون غريمُك الشاب أعرفَ بتصيدِ القلوبِ منه باعتلاءِ الجياد .

مقلاص : الآن عرفته هو فتى السوق، هو فتى الرسالة .

[يدخل لؤلؤ و يقول] :

الجمـاعة يتواردون على مجالسِ الشرابِ أيهـا الملك فانظر ماذا تأمر ؟

بثينـــة : وأنا أيضا ذاهبة لبعضِ شأنى إن أذِنت .

المـــلك : فى كلاءةِ الله يا بثينة .

[تخـــرج بثينـــة] .

المنظر الثانى

« ترفع الستار الخلفية عن مجلس شراب الى جانبه ستر مسدل »
« وفى وسطه مائدة حولها الملك وجماعة من حاشيته وتطل »
« هـذه المنظرة على الوادى الكبير حيث للملك زورق » .

الملك : ما عندَكَ من الشراب لأصحابنا يالؤلؤ ؟

لؤلؤ : خمورُ مالِقة و زبيبى اشبيلية .

الملك : وماذا هيأتَ لهم من نُقْلٍ وطعام ؟

لؤلؤ : الجوزُ واللوزُ من وادى الطلْح .

الملك [يرفع عقيرته و يغنى] : الجوزُ اللوزُ ياربَّ الفوز .

أحد الحاضرين [الى جاره] : هـذا لحنُ الملك الذى يحبه و يهتِف به حتى فى الحمام .

مقلاص : ولحنى أيها الملك أتسمعه ؟

الملك : قلْ . هاتِ يا مقلاص .

مقلاص [يغنى] : الجوزُ اللوزُ بوادى الحوز (١) .

الملك : مرحى! مرحى! .

الحاضرون جميعا : مرحى ! مرحى! .

الملك [لمقلاص] : تعالَ قِفْ خلفى يا مقلاص وقم عند رأسِى .

مقلاص : ها أنا قائم عند رأسك الشريف هل أفلّيه ؟

الملك : تأدّبْ يا وَقاح القُمَّلُ لا يوجدُ فى رءوس الملوك .

مقلاص : ما أدرى يا مولاى ولكنى أعلم أن القُمَّلَ يوجد فى لبدةِ الأسد وأنت أسد الأندلس الذى يعنو له الملوك .

الملك : لله ما أمرّ لسانَك وما أحلاه . فهو كمِشرطِ الجراحِ الماهِر جمَعَ مرارةَ القطعِ وحلاوةَ الشفاء .

الملك [الى لؤلؤ] : ثم ماذا يا لؤلؤ ؟

لؤلؤ : كلُّ مالذَّ وطابَ من السمك . بعضُه مجلوبٌ من بحرِ الزقاق . وبعضٌ من صيدِ الوادى الكبير .

---

(١) متنزه مشهور بالأندلس .

الملك [يتغنى] : الجوزُ اللوزُ ياربَّ الفوز .

الملك [الى وزيره ابن سعيد] : ماذا يقولون فى المدينةِ يابنَ سعيد ؟

الوزير : لا حديثَ اليومَ لأهل أشبيلية الا تلك النكبةَ التى حلَّتْ بأبى الحسنِ التاجر .

الملك : واهًا لأبى الحسن . وويحَ الأندلسِ ما أعظَمَ مصيبتَهُ فى تاجرِه العاملِ الموفَّقِ الأمين .

الملك [الى ابن سعيد] : وكيف وقعتِ الكارثةُ يابنَ سعيد ؟

الوزير : كانتْ لأبى الحسنِ التاجر فى لُجَجِ البحارِ ثلاثُ بوارج وهى ، الزُّهرةُ ، والثريا ، والجوزاء ، خرجتِ الزهرةُ الى الاسكندرية تحمل اليها مقدارا عظيما من الزيت الأشبيلى فأخذها عاصفٌ فغرِقتْ فى الطريق . وأقلعتِ الثريا بعد ذلك بأيامٍ مشحونةً بالمتاجرِ المتنوعة الى ثغور الأندلس فصادفها أسطولٌ للفرنجة كان يتجوّل على الشواطئ فأخذها مَغْنَمًا باردا ، وكانتِ الجوزاءُ قد سبقتْ أختيْها الى عَرضِ

البحرِ تقصِد سواحِلَ المغرب محمّلةً الشيءَ الكثيرَ من مصنوعاتِ الأندلسِ ومتاجرِه فشبّتْ فيها النار فأعيا إطفاؤها فسقطتْ شعلة فى الماء .

الملك : ويح لأبى الحسن ويح ! !

الوزير : إن أبا الحسن أيها الملك شيخ كبير قد فرغ من الدنيا وفرغتِ الدنيا منه ، فمصيبتُه أقصرُ عمرًا وأهونُ وقْعًا من مصيبةِ ابنِه الواحِدِ وولدِه النابِهِ الشاب حسون .

الملك : قد ذكر لِي اسمه وسمعتُ الثناء عليهِ من كثيرٍ من الناسِ .

الوزير : وإنه لكما نعتوه لك أيها الملك وفوق مانعتوه : شابٌّ جميلٌ وقورٌ جرئ ، وافرُ القِسْطِ من العلِمِ والأدبِ ، تعلّم لغةَ الإسبانِ حتى أجادَها حديثا وكتابة يجرى بها لسانه كما يجرى بها قلمُه .

الملك : إن شابا هذا شأنه وهذه همته فى الحياة لا يترك نُبوغُه سدًى ولا يوكَلُ الى اليأس القاتل ، بل يجْمُلُ بنا أن نأخذَ

بيدِه فنُهوِّن عليه عثرةَ أبيه البرئ .

الجماعة [يتهامسون] : ما هذا السِتر ؟

آخر [همسا] : تُرى ماذا يُخفِي هذا السِتر ؟

ثالث [همسا] : ماذا خبأ لنا الملِك وراءَه ؟

المـــلك : فيم تتهامسون؟ لعلكم تذكرون الستر . إشربوا الآن ما بدا لكم واطربوا، وأما الستر فستعلمون نبأه بعد حين . لقد وزعتُ عليكم من أيامٍ وفدَ النصارى من نُبلاءِ الإسـبان فماذا صنعتم بهم وكيف، كانت أنصبتكم ؟

الملك [ملتفتا الى وزيره دانى] .

الوزيردانى : كانتْ حِصّتى يامولاى أطيبَ الحِصص، فضيْفى شابٌّ نبيلَ طروبَ لطيفُ الأذُنِ، مولعٌ بالقيثارةِ لا يضعُها من يدِه وله عليها ضَرْبَ يأخذ بالألباب .

الملك [متبسما] : يسأل آخر من الجلساء . وأنت يابن الصـائغ كيف ضيفك ؟

ابن الصائغ : أنا أقل الإخوان حظا أيها الملك ، فضيفي رجل كهل قسيس يقطع الليل بالصلاة وتلاوة الإنجيل .

الملك : بل لعلك أعظم الجماعة حظا ولا تدرى .

ثالث من الجلساء [مخاطبا الملك] : أما أنا أيها الملك فقد ابتليت برجل شيخ شريب خمر لا يرويه فى اليوم دن ولا دنان . فاذا كان قبل كل طعام قدمت له زبيبى أشبيلية فأقبل يعبه عبا كما يقع الظمآن على الماء الزلال ؛ وقد شرب من خمر مالقة فى ثلاث ليال أقامها عندى ما يكفينى أنا شهرا وأنا الذى يعرف الملك ولعى بالخمر المالقى .

الملك : وأنت يا لؤلؤ كيف ضيفك وما حاله ؟

لؤلؤ : إنه شاب يا مولاى خفيف الظل والروح . مولع بالرقص وأنا أتلقى عليه كل ليلة دروسا فى الرقص الأسبانى حتى كدت أحسنه .

الملك : وأنت يا مقلاص . كيف ضيفك وماذا يصنع معك ؟

مقلاص : ضيفي يا مولاى رجلٌ كهلٌ بادنٌ ضخمُ الجثـةِ كالخنزيرِ المتدلى البطنِ من تراكبِ الشحمِ واللحمِ اذا جاء فى البيتِ وراح ارتجتِ الجُدرانُ واهتزّ ما على الرفوفِ من آنيـةٍ . واذا نام خرج الغَطيط والنخير من حلقهِ ومن أنفه ومن كل موضع فيه واو نام فى جبانةٍ لأيقظ غطيطُه الأموات .

الملك : وكيف طعامُه يا مقلاص؟ وما أحبُّ الألوانِ اليه؟ .

مقلاص : هو يا مولاى مجنون المعـدةِ بالإوزّ . له كل صباحٍ على الريقِ إوزّة وغداؤه إوزّة وعشاؤه ...

الحضور جميعا : إوزّة .

الملك [ملتفتا لوزيره دانى] : وماعندك أنتَ يا دانى مما يقولون فى المدينة؟

دانى : يتهامسون فى المدينةِ بأن الفتنة قد تحركت شياطينها فى قرطبة وأن القـادرَ صاحبَ طُلَيْطُـلَةَ يسعى لأخذها من ولدك الأميرِ الظافر، وأنه يستعين فى دسه وكيدِه وتدبيرِه بالبطل حُريز وصاحبه ابن طولون .

الملك : الولاياتُ يا دَانى كخلايا النحل فيها العسل وفيها الأسل
وأنا واثقٌ بحزمِ الظافرِ وعزمه والله يفعل بعد ذلك مايشاء
إن ضيوفَكُم النبلاءُ أيها الأصحاب سيكونون هنا بعد ساعةٍ .

الملك [الى جوهر] : وأنت يا جوهر آنظر . أين الجنديان ؟

جوهر : بالباب يا مولاى .

الملك : أدخلْهما .

الملك : يدخل الجنديان .

الملك [الى الجنديين] : أين الكلب؟ ! أجئتما به ؟

الجنديان : هو بالبابِ يامولاى يرسُفُ فى قيودِه .

الملك : أدخلاه .

[يدخل ابن شاليب اليهودى يجر قيوده]

ابن شاليب : التحية والإجلال للملك .

الملك : تحية لا نتقبلها من رجلٍ شتمنا بالأمسِ بمسمع من رجالِنا
وأعواننا .

ابن شاليب : معاذا الله أيها الملك : ما شتمتُ ولا تهجمتُ ولا نسيتُ أنى نزيل هـذه المملكة ، يجبُ علىّ لصاحبها التوقـيرُ والإكبار .

المـلك : بل أنت تكذِبُ يابنَ شاليب .

ابن شاليب : على رِسلك أيها الملك ، أنسيتَ أن ورائى مليكا عظيما يسألُ عن أمرِى وأنا سفيرُه عنـدك ورسولُه اليك ، وقد يغضبُ لى إن أنتَ نلتنِى بسوء .

المـلك : فان كان السفيرِ وقَاحًا قليلَ الأدب ؟

ابن شاليب : هذا كثير أيها الملك فاجعل للإهانةِ حدًا ولا تنسَ لى مكانى .

المـلك : ستعلم مكانَك بعدَ قليل .

[الى ابن وهب]

أعِد يابن وهبٍ على هـذا الكلبِ ما لهِث به حين عرضتَ عليه مال الجزية .

ابن وهب : لقد همَّ يا مولاى برد المـالِ معتلًا بسـوءِ العيارِ ونُقصانِ

الإتاوةِ عن السنةِ الماضية وقال: بلغ سيدك أنه لا يحول الحول حتى آتى فآخذَ عينيْه .

ابن شاليب : هذا كذبٌ واختلاق .

الملك : بل أنتَ الكذّاب . فما أنا بالملك الذى يَكذِب عليه وزراؤه وأعوانه . وما شرفُ الأندلسِ وجلالُه إلا عدلُ قضاتِه وقلّة شاهدِ الزورِ فيه .

ابن شاليب [يمرّغ خدّيه على البساط و يقول] : ألا تعفو أيها الملك الكريم . فهم يقولون إن العفو شيمتكم معشر العرب .

الملك : إلا ما مس الشرفَ والكرامة .

ابن شاليب : أتقتلنى أيها الملك من أجل كلمةٍ سبق بها لسانى وأعمانى الغضبُ فلم أزِنها ولم أقدر عواقبَها .

الملك : عجبا يا وزير الفونس ... أنت تزِن القناطيرَ المقنطرةَ من الذهبِ والفضة فلا يفلِتُ من حسابك بُرادةُ مِثقال . ثم لا تحسن أن تزِن كلمةً تخرج من فيك ! ...

ابن شاليب : أعفُ عنى واستبقِنى أيها الملك وأنا أشترى منك حياتى بوزنِ جسمى ذهبا .

الملك : لا واللهِ ولا بثقلِه لآلئ و يواقيت وأنا أعلم أن وراءَك ملكا عظيما هو عبد المال . أما أنا يا ابن شاليب فعبد الله .

الملك [للجنديين] : أيها الجنديان خذا هذا المجرم فامضيا أمرى فيه .

[الجنديان ينقضان على ابن شاليب
فيأخذانه الى ما وراء الستر المسدل]

الحاجب [يدخل] : نبلاءُ الاسبان بالباب يا مولاى .

الملك : يدخلون .

كبير النبلاء : التحياتُ للملك .

الملك : مرحبًا بضيوفِنا النبلاء . تفضلوا وخذوا مجلسكم واطرِحوا الكلفة .

كبير النبلاء : شكرا يا مولاى ؛ هذه الحفاوةُ بالضيفِ لا تستغرب من ملكِ العربِ الكريم .

الملك : تعالَ اجلس بجانبي أيها النبيل .

[يجلس كبير الأسبان حيث أشار الملك
يطوف لؤلؤ على القادمين بالشراب وبالنقل]

لؤلؤ : ماذا تَشتَهِي من الشراب ؟

كبيرالأسبان : ما دمنا فى أشبيلية يا فتى الملك فانى لا أقدم على زبيبها الصافى المعطرِ شيئا .

أحد الحاشية [فى أذن جاره] : انظر السكير ياأخى كيف تجاهل خمر مالِقه وكيف نسِي أنه أنفد ذخيرتى منها فى ثلاث ليالٍ أقامها عنــدى .

[ضجة وشراب وأحاديث همس]

الملك [الى لؤلؤ] : دلنا يا لؤلؤ على ضيفك الرقّاص .

لؤلؤ [يشير الى أحدهم] : هو هذا النبيل يا مولاى .

الملك [الى الاسبانى] : إن فَتاىَ لؤلؤ أيهــا النبيل مغتبِطٌ بما تعلّم عليك من أصول الرقص .

الأسبانى : وأنا يا مولاى ما رأيتُ أسرعَ خاطراً ولا أرشــقَ حركاتٍ

ولا أحسنَ حِفْظا لما يلقى عليه فى فنون الرقص من
صاحبى لؤلؤ .

الملك : إن مطربى هذا ابنُ حزم يحسن الضربَ على القيثارة .
وقد تعلّم فى صغَرِه الكثيرَ من ألحانكم ونغماتِ رقصكم .

الملك [الى لؤلؤ] : فلْيرقصْ لؤلؤ على إيقاعه .

الملك [الى الاسبانى] : وأنت ترسم له أيها النبيل النغْمة التى تصلح
للرقصة .

[لؤلؤ وصاحبه الاسبانى يرقصان و يعزف لهما ابن حزم... و يصفق
لهما الملك والجماعة ثم يجلس الثلاثة بين الاستحسان والاعجاب]

الملك [فى جد الى جليسه الاسبانى] : أيها الضيفُ النبيل . أمر يَشْغَلُ
بالى ويهتمّ به أصحابى وينتظرون حكمى فيه . وقد رأيتُ
أن أنتهزَ فرصة الأنس بحضوركم لأسيرَ على ضوءِ رأيك
فى تصريفه .

النبيل الأسبانى : ليس أحبَّ الىّ أيها الملك ولا أزيدَ فى شرفى من

مشورةٍ خالصةٍ نافعةٍ ألقيها الى جلالتك .

الملك : إذن فاعلم أيها الضيفُ النبيل أن أحدَ جيراننا الملوكِ أوفد إلىّ رسولا فى مهمةٍ معلومةٍ فنسى الرسول مكانى حتى سبّنى بمسمع من رجالى وأوعد وتهدّد . فما الذى يقضى به عُرْفُكم على رجل هذا فعله .

النبيل الأسبانى : مثل هذا جزاؤه القتل يا مولاى .

الملك [إلى النبلاء] : أسمعتم يا معشرَ النبلاء .

النبلاء : سمعنا أيها الملك وقد أفتى كبيرنا وهو العدل والصواب .

الملك : إذن فانظروا .

الملك [ثم لأحد الجند] : أيها الجندىُّ إرفع هذا الستر .

[يرفع الستر عن جثة ابن شاليب جثة هامدة معلقة على عود]

الجماعة صائحين : ابن شالِيب ؟

الملك : هذا صاحبكم ابن شالِيب قد رمانى أنا ووزيرى هذا ابن وهيب بتزويرِ العيار والغش فى الميزانِ وقال لرجالى وأعوانى :

بلِّغوا سيدكم أنى آتٍ فى العام القابل فآخذ عينيه من رأسه .

أحد الجماعة مستنكرا : وما ذنبنا نحن أيها الملك حتى عاقبْتنا بهذا المنظر؟

الملك : لقد تردّدتُ بين أن أقتلَه بأعينكم و بين أن أعرِضَه عليكم وهو كما ترون جثة بلا روح ولكنى وجدت فى الرأى الثانى تخفيفا على ضيوفى فعمِلْت به .

[ثم ينهض الملك علامة الاذن فى الانصراف و يختلط بهم وهو يشيعهم]

الملك : انقلوا أيها النبلاء إلى الملك الفونس ما سمعتم ، وصِفُوا له ما رأيتم ، وتحدّثوا به فى طولِ بلادِكم وعرضِها ليعلم الناس هنالك أن الأسد العربى لا يُشتَم فى عرينِه وأنه لو غلِب على غابتِه حتى لم يبق له منها إلا قاب شبرٍ من الأرض لما استطاعتْ قوى الإنس والجن أن تنفذ إلى كرامته من قابِ هذا الشبر .

[ينسل النبلاء الأسبان من المنظره وهم يجرون سيقانهم جرا من الرعب]

الملك [إلى حاشيته] : الآن يا نبلاءَ العرب نطوى هذا البساط ويبقى

هذان الجنديان حتى إذا خلت منا المنظرة رفعا السِتر عن جثةِ ابن شاليب ليعلم أهل أشبيلية كيف يحل العقابُ بمن يجترئ على شرفِ أميرِهم الذى هو شرفهم الرفيع .

المنظر الثالث

« الملك "نشوان" ومعه مضحكه مقلاص يدنو من زورق »

« على الوادى الكبير فيثب فيه و يقول ... ... »

المـــلك : أنظر يا مقلاص إلى هذا الزورق ما ألطفه ، صدق القول: كلُّ صغيرٍ لطيف .

مقلاص : إلا وظيفتى فى قصرك فانها لا لطيفة ولا شريفة ، وإن هـذا الزورقَ قد ينقلبُ فيأخذ شكل النعشِ ولن يكون النعشُ لطيفا أبدا .

المـــلك : هبه انقلب يا مقلاص فصار نعشا ، أليس النعشُ مركبَ كل حي وإن طالتْ سلامته ؟

مقلاص : أما أنا فيعفينى الملك .

المـــلك : لا يا مقلاص — لا أعفيك ولا أحسبك تدعى أسير فى لُجة النهرِ وحدى وأنا كما ترانى نشوان .

مقلاص : وإن كان ولا بد أيها الملك فانى أقترح .

الملك : وما تقترح ؟

مقلاص : أن أكون أنا المجدِّفَ وحدى .

الملك : ولماذا ؟

مقلاص : الأمر بين ! التيار مجنون ، والسكر مجنون ، وأنت سلطان وكل سلطان مجنون ، وهذا الزورق خشبة لاعقل لها فهو أيضا مجنون ؛ وإنى أربأ بحياتى أيها الملك أن أجمع عليها مجانين أربعة .

الملك [مستضحكا] : لا يكون إلا ما اقترحتَ يا مقلاص تعالَ إركبْ وجدِّفْ وحدكَ واتركْ لى أنا الدفةَ .

مقلاص : أما هذا فنعم . وإنى أرجو أن تكون دفةُ هذا المركبِ الصغيرِ أحسنَ مصيرا فى يديْك من دفةِ المملكة .

الملك [مستضحكا] : تعال ثِب ؛ هاتِ يدَك .

[مقلاص ينزل الى الزورق و يأخذ المجدافين] .

الملك : أنظر يا مقلاص وراءك إنى أرى قاربا يندفع نحونا مسرعا

كأنه حوتٌ مطاردٌ مذعور .

مقلاص : هو ذا قد دنا منا يا مولاى فأَحسنْ مسك الدفة واجتنب الصدمة وأنا أذوده عنا بمجدافى هذا وأضربه ضربةً تقذف به الى الشاطئ الآخرِ من النهرِ .

الملك : إياك أن تفعلْ ، بل إئسره فلا بدّ لنا أن نؤدّب هذا الشاب المغرور فانى أرى الملاّحَ فتى كريمَ الهيئةِ فهو لا شك من أبناء أعيان أشبيلية .

[يصطدم الزورقان و يظهر مقلاص ارتباكا وجبنا فيقبض الملك على الزورق المهاجم بيد قوية و يقول لمقلاص] :

الملك : إقذف الآن به إن استطعتَ الى الشاطئِ الآخرِ من النهرِ

[ثم يلتفت الى الشاب الملاح و يقول] : مكانكَ أيها الغلام الوقّاح ، ما هذه الجرأة على التيار وعلى شبابك هذا الغض النضير . وما غرك بالملك حتى قربتَ عودك من عودِه تريد أن تأخذ عليه الطريق .

الملاح : مولاى . إن الرعيّة يهفون . و إن الملوك يَعفون ، وزورق

إنما اندفع بقوة التيار القاهر فوافق مرورَ مركبك المحروس فكان ما كان مما أعتذر الى الملك منه .

الملك [بصوت منخفض] : ويح أذني ما ذا تسمع؟ هذا الصوتُ أعرِفُه!

[ثم يلتفت الى الملاح قائلا] : قد عرَّفناك أيها الفتى من نحن فعرِّفنا بنفسِك .

[يرفع الملاح قناعه] .

الملك [صائحا] . بثينة ؟

الأميرة [الملاح] : أجل أيها الملك ابنتك وأَمَتُك بثينة .

الملك : عجبا أأنتِ هنا بين العَبَبِ والتيار وعلى هذا العود الذى يشفق أبوكِ من ركوبه وأبوكِ من تعلمين أشجعُ العرب قلبا .

الأميرة : ولِم لا تكونُ ابنة الملكِ شجاعةَ القلبِ مثلَه إن الأسد لا يلد إلا اللَّباة .

الملك [يهدأ غضبه] : ومن أين مجيئكِ الساعةَ يا بثينة ؟

الأميرة : من الموضع الذى أحبُّه كما أحبُّ الحجرة التى ولدتُ فيها ، ومن ناحيةِ السرْحةِ التى أحِنُّ لها كحنينى للقاصيرِ التى ضمتنى طِفلة ممهّدة ، ومن بُقعةٍ مباركةٍ وقفتِ السعادة بك فى ظلها على أمى الرميكية فرأيتَهـا فأحببتَها أوّلَ وهلة . ولم تكن إلا غسالةً مغمورةً فتزوّجتهـا فرفعتَها أعلى ذُرى الشرفِ ومن هذا الزواج الموفّق السعيد ولدتُ أنا لأب قصّر الآباء عن برّه وملكٍ جل عن النظراء والأمثال . أليس ذلك المكان الذى هو مهد حبكما الأول من حقه أن يُحَنّ إليه أحيانا بل من حقهِ أن يُحج آنا فآنا .

الملك [متأثرا] : بنفسى وروحى أنتِ يا بثينـة . لقد عظّمْتِ المهـدَ وقضيتِ الحقّ والآن ألا ترجعين الى القصر بسـلام فلا أحسب القصر إلا قائما لغيبتك على ساقٍ حتى لكأنى بأمكِ تسأل عن أمركِ وبجدّتك أشغلُ وأشدُّ قلقا .

الأميرة : لقد كنتُ يا مولاى فى طريق الى القصر لولا هذا الاتفاق

السعيد الذى صدم عودى بعودِك والآن إذْ أمرتَ فانى أنطلق فى سبيلى وأستودعك الله يا مولاى .

الملك : إذهبى يا بنيتى فى كلاءةِ اللهِ وإياكِ والمجازفةَ فيما تفعلين فان الحياةَ أعزّ وأنفسُ من أن تُعرّض للتهلكة وأنهاكِ عن الخروج بعد اليومِ إلا مصحوبةً بلؤلؤ أو جوهر فانهما لا يألوانكِ خدمة وحراسة .

الأميرة : لا يكون يا مولاى إلا كما أشرت .

[تندفع بثينة بالزورق وتغادر الملك — وقد أطرق مليا إلى أن بدا لمقلاص أن ينبهه من هذه السنة] .

مقلاص : مولاى إن الشط قريبٌ وإن الأرضَ أصلحُ مجلسا لمثل ما أنتَ فيه من الهم والتفكير .

الملك : كيف رأيتَ بثينة وكيف وجدتَّ جرأتها يا مقلاص ؟

مقلاص : تلك اللّباة من هذا الأسد يا مولاى .

الملك : ما كل جرىء فطن ، وهذه الفتاة جمعت الحجا والشجاعة .

إنها تعلم أنني رجل رقيق القلبِ مجيب العاطفةِ وتعلم كذلك أن شيئا من النفورِ قد دخلني نحو أمها منذ حينٍ فانظر كيف تحيَّلَتْ حتى ذكرتني العهدَ القديم . فوالله ما أنا الساعةَ بأقلَّ حبا للرميكية ولا عطفا عليها مني منذ عشرين سنة . جدِّفْ يا مقلاص جدف . سبحانك اللهم جعلتَ الولد سفير المودّةِ والرحمة بين الوالدين .

[يندفع الزورق] .

الملك [يتغنى] : الجوزُ، اللوزُ، ياربَّ الفوز .

مقلاص [يجيب] : الجوزُ اللوزُ بوادي الجوز .

[ستار]

الفصل الثانى

« خان التميمى فى أشبيليه حيث صنعت الموائد والأرائك وجلس اليها »
« قوم يتحدثون ويحتسون الشراب . ابن حيون منفرد وحده الى مائدة »
« وأبو القاسم قادم عليه من باب الخان . حزين يجلس الى مائدة أخرى »
« وأمام ابن حيون . ورجال هنا وهناك يلعبون النرد والشطرنج »
« أو يطالعون بعض الرسائل ... ... »

أبو القاسم : ابنَ حيون ؟ ما أطيبَ هذا اللقاء .

ابن حيون : سيدى أبو القاسم يامرحبا يامرحبا ها هنا صُفَّةٌ لينة
وبجلس كريم فلو جلسنا ساعة نتحدّث . أزائرى أنتَ أبا القاسم
أم جئتَ الخانَ فى شأنٍ يعنيك .

أبو القاسم : بل إياك قصدتُ يابن حيون . وإن الشوْقَ اليك لشديد .

ابن حيون : شوقٌ بعضُه من بعضٍ يا أبا القاسم ولكنْ من أنباك أنى
مقيم بخان التميمى .

أبو القاسم : لقد عرفناك كالروادِ الرحل . لا ترى إلا فى خانٍ أو عند دوارِس الأحجار .

ابن حيون : الخانُ والسوقُ يا أبا القاسم مدرستان من مدارِس الحياة ينتفع بهما الرجلُ الأريب ... ألستُ فى هذا الخانِ كل يومٍ أبدل أهلا بأهلٍ وجيرانا بجيران واستعرضُ صوراً متحرّكة مِن الخلائق كلما احتجبتْ صورة خلفتها صورة ... وكيف حال أشبيلية يا أبا القاسم وهل من حوادثَ هناك ؟

أبو القاسم : الحالُ إنْ لم يصلحها الله فمالها من صلاح . والحوادثُ يابن حيون تتوالى ولا تتولّى واليومُ مغبر والغدُ مكفهِر .

ابن حيون : وابنُ عباد فى غوايته مستمر !

أبو القاسم : خل ابنَ عباد يا أخى لاتجرِ ذكره بسوءٍ فانه السيفُ الذى يرجوه العرب . والحِصنُ الذى يحتمون غدا فيه .

ابن حيون : لم تُنصِفْ يا أبا القاسم . طبعتَ للعربِ مِن الخشب سيفا وبنيتَ لهم من الشفير الهائر حصنا .

أبو القاسم : إتق الله يابن حيون ... بعضَ هـذا البغى ... للمعتمد من المحاسنِ ما يغطى على مساويه . أجهِلتَ إحسانه على أهل العلمِ وعَطْفهِ على أهل الأدبِ ؟ أجهِلتَ كيف يربى أولادَه تربية لم نعرِفها من الأمراء والملوك؟ أجهِلتَ كيف يعامل الرميكيةَ زوجته الفاضلة معاملة تحسِدها عليها عقائل الأندلس ؟

ابن حيون : آه يا أبا القاسم من ههنا دائى وههنا ثارى عند صاحبك آبن عباد .

أبو القاسم : يَاعجبا كل العجب . ما هذا الثأر ما حديثه ؟

ابن حيون : اسمعْ أبا القاسم وأنصفنى .

أبو القاسم : تكلم يا بنَ حيون فكلى مسامع .

ابن حيون : كنتُ فى صدر شبابى صيادا شابا مليحا رأسُ مالى شبكة وقِـوام معيشتِى سمكة ، وكانت تختلف إلى المواضعِ التى اختلِف اليها من النهرِ للصيدِ وابتغاء الرزق صبية غسالة حلوةُ الدلالِ بارعةُ الجمالِ كأن حديثها السحرُ الحـلال .

فانعقـدتْ بيننا ألفة وكانتْ لنا مجالس على الماءِ كأنها أعراسُ النهرِ ولقاءاتٌ على الوادى الكبير كأنها أعيادُ الدهرِ ؛ أحببتُ الصبية وأحبتْنِى وتكلمنا فى الزواج وشرعنا نأخذ له أُهبته .

أبو القاسم [مقاطعا] : و بينما أنتما على ذلك طلع عليكما من النهر فُلْكٌ عليه شارة الملك ، يحمل ملكا شابا جميلا فنظر الصبيةَ فراعهُ حسنُها وكلمها فأعجبه أدبها . وارتجلت الشعرَ بين أذنيه فبلغ إعجابه بها الغايةَ فتزوّجها من يومِه فملأتْ قصورَه غِبْطة و بهجة وولدتْ له الشموسَ والأقمار . هذا حديث الرميكية يابنَ حيون وهـذا خبرُ زواجِها يعلمه كل من فى الأندلس و يتناقلونه بالإعجابِ و يتحـدّثون أن بنتَ الشعْبِ نزلتْ قصورَ الملكِ من أولِ يومٍ نُزولَ الأقمارِ فى هالاتِها ، وأنها من عشرين عاما الى اليوم قدوةُ عقائلِ الأندلِس والمثال الأعلى بين أميراتِه وملِكاته ؟ .

ابن حيون : وما كان ذنبي يا أبا القاسم حين احتقرتْ حُبي واستهانتْ بِخطبتي؟ ! وكيف تريد منى بعد ذلك أن أكون لصاحبك المعتمد من المخلصين .

أبو القاسم : هبِ الأمرَ كان معكوسا يا ابنَ حيون، وهب الفلك الذى وقف يومئذٍ بكما كان يحمل ملكةً شابة فاتنــة الجمالِ بيمينها الجاه وفى شمالها المــال فنظرتْك فأحبتْك ودعتْك لتبني بها وتشاطرهَا عزة الملكِ وثراءَ المــالِ — أتُراك كنتَ تُعرِض عن الملكةِ وفاء بعهدِ الغسالة . لا والله يا ابنَ حيون ما كنتَ فاعلا ذلك . وهــذا ما فعلتْ الرميكية . رأتْ ملكا كبيرا وشــبابا نضيرا وفضلا وأدبا غزيرا فخلتْ نفسها من ذلك الودادِ وفضلتْ أصيدَ على صياد . عرفتَ يا ابن حيون أن ذنب الرميكية ليس بالعظيم كما توهمْتَ . بقى المعتمد وأنا لا أجدُه اقترفَ اليــك ذنباً أو أراد لك ضُرا بل أنا أقسم لو علِم ابنُ عباد يومئذٍ بما كان بينكما من الحب وما صرتُما

اليه من الخطبة ووشك الزواج لأخذكما فى كنفه وتكفلت لكما نعمتـه بالزواج ونفقته ، وبالبيت وجهازه وبالضيعة التى تغل عليكما وتبقى بعدكما على الأولاد .

[ابن حيون مطرقا] :

أبو القاسم : ابنَ حيون . مالك مطرقا لا تنبس . ما بالُ عينيك تمتلئان استرحْ يا أخى للبكاء واسكبْ دموعَ الندم .

ابن حيون : الآن استرحتُ يا أبا القاسم وانطرح عن صدرى أتونٌ من الحقد حملتُه عشرين عامًا حتى حنى الظهـرَ وأكلَ الصدرَ وأدنى من القبر .

أبو القاسم : مسكين أنتَ ابنَ حيون إن حقدَ عشرين عاما لو جمع وقذف به فى جهنم لكان لها منه وقودٌ لا ينفَد .

ابن حيون : لقد شفيتنى أبا القاسم من ضلالى القديم فأرشدنى كيف أعتـذر الى الرميكية عن سوءِ ظننتُ وبغضٍ أسررتُ وأعلنتُ وكيف أُكفِّر عما سلف منى فى ذاتِ المعتمدِ من

جهرِ السوءِ وهمسِه .

أبو القاسم : يغفر الله لك يابن حَيون إن الحقد ما خرج من قلبٍ إلا دخلته الرحمة وإنى لأرجو أن ستُحِبَّ صاحبيْك وترحمهما وتحسنَ اليهما كلما وجدتَ الى الإحسانِ سبيلا .

[يطوف قيم الخان على الجالسين حتى يقف به الطواف]
[على المائدة التى جلس اليها حريز وابن لا طون]

قيم الخان : لعلّ السيديْن قد وجدا الراحة فى هذا الخانِ الصغيرِ ببنائِه الكبيرِ بأقدارِ زوّادِه ونزلائه ؟

حريز : ومن السيد ؟

ابن لاطون : هذا الأديبُ التيمى صاحبُ الخان وقيّمه .

قيم الخان : لعلى أيها السيدان بحضرةِ الأمير حريز أسدِ الأندلس وصديقِه ابنِ لاطون نمرِ الجزيرة .

ابن لاطون : هو ذاك يا أخا تميم . هذا الأميرُ حريز بطلُ الأندلُس وواحده وأنا ابن لاطون خادمُه وكاتبُ ديوانِه .

قيم الخان : ياطيبَ هذه الزيارة وما أعظمَ شرفى بها ، لقد مر بنا أيها الأمير منذ ساعةٍ ركبان حدثونا العجب عن ذلك السباق الذى أقامه ملك الفرنجة الفونس فى معسكرِه إكرامًا لك وحفاوةً بك وخبرونا كيف احتلتَ على الطاغيةِ فمرقتَ من ذلك الجيش الجرار ناجيا بجوادِك الصاعقة وظافرا بالأميرِ بطرس شقيق الطاغية .

حريز : وكلاهما الساعة تحت سقْف خانك هذا . ففى بعضِ غرفة بطرس أمير الأسبان يأخذ قسطه من الراحة . وفى الإسطبل الصاعقة أمير الجياد يُعلف ويُستَجَم .

قيم الخان : يافرحا ياشرفا . أخو الطاغية أسيرٌ فى خانى نبأٌ والله عظيم لا تطلع شمس الغد حتى ينتشرَ فى الأندلس فتشتغِل الدنيا بالتميمى ويهتم بخانه الناس .

حريز : والصاعقة أمير الجياد أنسيتَه يارجل؟ إن اسطبلك ليتيه بهِ على مغانى الفرنجة وقصورِهم فاذهبْ فمر رجالك أن يعتنوا

به وليأتوا بما كان عليه من الأمتعة والأسباب فيضعوا ذلك كله فى هذه الزاوية من الخان .

قيم الخان : سيكونُ ما أمرتَ ياسيدى .

[يخرج الأمير بطرس من غرفة الخان]

[فينهض حريز وابن لاطون حفاوة به]

الأمير حريز : الأمير بطرس ؟ لعلك أخذتَ قسطك من الراحة .

الأمير بطرس : أجل قد استرحتُ يا حريز والان خبرنى ما أنتَ صانع بى لقد أصابتِ الحُبالة فما أنتَ صانعٌ بالصيد .

حريز : إنها أيها الأمير حُبالةٌ كريم .

بطرس : ولكنى على كل حال أسيرُك ياحريز .

حريز : أجل ولكنك الحاكم فى الأسر .

بطرس : لم تنصف أخى الملك ياحريز . اطمأنّ عليك فخدعتَه ووثِقَ بك وخنتَه وأطلق لك جوادَك الصاعقةَ وأسرتَ أخاه .

حريز : نحن فى حربٍ معكم أيها الأمير والحرب لا تُسأل عما تَفعل

وأنا صاحبُ حصنٍ للعرب يحاصره أخوك وفى الحصن أبطالٌ لا يعرفون الخوفَ ولكنهم بَشَرٌ يعرفونَ الجوع . ومنهم المرأة والصغير والشيخ الفانى الكبير؛ وحصنى يوشك أن يسقط بعد طولِ الحصارِ وضيقِه .

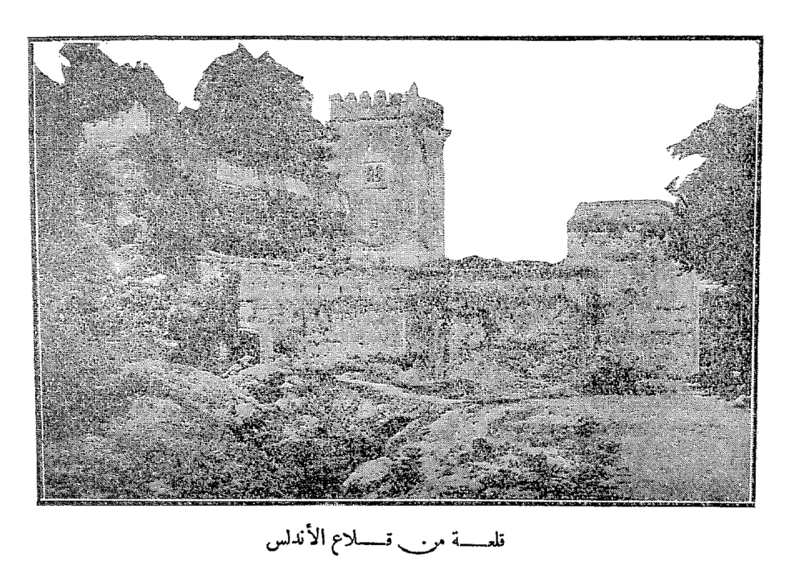
بطرس : إذن يهمك أن يخرج النساء والأطفال والشيوخ من الحصن .

حريز : أراك فهمتَ أيها الأمير .

بطرس : إذن فاعلم ياحريز أنك إن خليتَ الآن سبيلى فرجعتُ الليلةَ إلى معسكرى وقومى فانه لا يُصبح الصبحُ حتى يطلق سراحُ كل من فى حصن رباح وينالهم من برأخى وعطفِه ما ينسيهم جراحَهم ولا ينزَع من رجالك سلاحُهم بل تُترك للأسد أظفارُها .

حريز : هذا ما أبغى أيها الأمير .

بطرس : وأىّ الأقسامِ تريد أن أعطيك عليه ؟



قلعـــة من قـــلاع الأندلس

حريز : إن الرجلَ الشريفَ كلمتُه قَسَمٌ وإشارته يمين، فأنا أكتفى بما سمعتُ من وعدِك فانطلق الآن محروسا بعناية الله وعد لأخيك الملك فبلغه تحيتى وإجلالى وخبره بأن ربحى من ذلك السباق كان عظيما فقد غنمتُ صحبةَ أخيه الأمير النبيل الكريم وغنمتُ أيضا خلاص رجالى فى الحصن . وخرجتُ فوق ذلك من الميدان بكنوز طُلَيْطُلَةَ وجواهر ملوكها بنى ذى النون .

الأمير بطرس : كنوز طيطلة؟ خرجتَ بها بين عين الجيش وأذنه، يالك من داهيةٍ عتيد . أكانتْ هذه الكنوز معكَ حين أتيتَ للعسكر؟

حريز [ضاحكا] : كلا أيها الأمير بل كانتْ فى طليطلة وفى خزائن ملوكها بنى ذى النون وإنما احتلتُ حتى حملتْ إلىّ مع الصاعقة إذ أمر أخوك الملك أن يذهب الى المدينة المحصورة من رجاله ورجالى مَن يأتى بالصاعقة .

بطرس : عجبا . لقد رأيتُ الصاعقة حين جئ به من طليطلة فلم أرَ عليه شيئا من الأحمال والأثقال فهل كان يحمل فى بطنه الكنوز ؟

حريز [ضاحكا] : ولم لا تقول إنها كانتْ على ظهره أيها الأمير ... ... (مناديا) يا تميمى .

التميمى : مولاى .

حريز : إدفع الى الأميرِ جوادَه قيصر وشيِّعه بفارسين من أشد رجالك يرافقانِه حتى يبلغ خطوط الفرنجة .

بطرس : فى حفظ اللهِ يا حريز .

حريز : بذمةِ الله أيها الأمير .

[يخرج حريز مشيعا الأمير بطرس الى باب الخان
ويعود فيجلس على مائدة مع ابن لاطون]

ابن لاطون [يسأل حريز همسا] : لقد ذكرتَ أيها المولى كنوزَ طليطلة للأمير الأسبانى فأين هى منا الآن ؟

حريز : هى معنا يابن لاطون بين أعيننا وفى خِفارةِ سيفينا ولكنك

لا تراها ولا يقع فى وهم واهم بأى موضع هى من الخان .

[يسمع من خارج الخان مناد ينادى متغنيا]

منادى : أنا ذا طاهٍ أتاكم من شريش بقطائف
من يذقْ حلوايَ يبرز لحريزٍ غيرَ خائف

حريز : لِله ما ألذَّ الصوتَ وما أحسنَ الشعر .

ابن لاطون : وإنا نرجو ألا تكونَ القطائفُ دونَهما لذةً وجوْدة .

[حريز متجها الى باب الخان]

حريز : تعالَ يا صاحبَ القطائف . أتعرفُ أيها الرجل حُريزاً الذى أشدتَ بذكره فيما أنشدت ؟

البائع : أوتجهله أنتَ كائنا من كنتُ وهو عنترةُ البيد وحيْدرةُ الحِمى ونادرة الزمان ؛ أعرِفُه بأمسِه ويومِه كما يعرفه سائر الناس .

حريز : وكيف صفتُه ؟

البائع : رجل عِملاقٌ أشمُّ طويلُ الساعدينِ عبْلٌ شَمَرْدَل .

حريز : كفى يا شريشى كفى إكشفْ عن بِضاعتك لنرى أينَ

المنادى عليه من النداء .

[البائع يعرض الصينية مكشوفة]

صوت من الحاضرين : تعالى الله ما أشهى .

صوت آخر : تعالى الله ما أطيبَ .

حريز : بكم تبيعُنى هذه الصينيةَ يارجل .

البائع : كل ما أعطيتَ مقبول أيها السيدُ الكريم .

حريز [ويلق اليه صرة دنانير] : خذْ هذه الصرَّةَ مباركًا لك فيها .

البائع : ولكُمْ فى القطائف أيها الطاعِمُ الكريم .

حريز [للحاضرين] : تعالَوا أيها الإخوان نتقاسمْ هـذه اللقْمَة الطيبة .
تفضلوا . أقبِلوا . ذوقوا معنا من هذا اللون الذى ذاعتْ
شهرتُه فى البلاد حتى قيل إنّ من دخل الأندلسَ ولم يذقْ
من مجبناتِ شريش فما عرف من متاع الأندلس شيئا .

أحد الحاضرين : إن لهذه القطائف لطيبا يسكر من بعيد .

[الجميـــع يأكلون]

أحدهم : ما ألذ .

ثان : ما أطيب .

حريز [وهو يأكل ملتفتا الى ابن حيون] : ما بالُ الأديب لا يجيبُ الدعوةَ .

ابن حيون : إنى صائم أيها الأمير .

حريز : تقبَّل الله منكَ وإن أنتَ لم تَقبلْ منَّا .

أحد الحاضرين [على المائدة وهو يأكل] : هـذه المائدةُ جمعتْ العلَقَ والشرفَ . فوالله ما كان أحدكم يحلم أن يؤاكل أسدَ الأندلس .

آخر : حق إن هذا لهو الشرفُ العظيم .

[يفرغون من الأكل] .

حريز : يا ألله ماهذا الدوار ؟ ! ابن لاطو ... .

ابن لاطون : وأنا أيضا كأنى داخل فى غيبو ... ... بة .

رجل [لصاحبه] : كيف تجد الدنيا فى عينِك ياضبيِّ ؟

الضبي : مظلمةٌ صاعدةٌ نازلة .

الرجـل : وأنا أيضا أجد الدنـ ... ... ـيا .

أبوالقاسم : لقد رُحْتَ بصيامك يابنَ حيون فانى أظنّ القطائف طبِخَتْ بالبنج وأخذتْ تصرعـ ... ـنى .

ابن حيون [مذعورا] : ياويح للجماعة غودروا صرعى وويح لك أباالقاسم سقطتَ سليبَ العقلِ والحرَاك .

[يظهر صاحب القطائف ويصفر فيدخل جماعة من اللصوص] .

ابن حيون [وقد امتلأ المكان باللصوص] : ياألله ! امتلأ المكان باللصوص . الآن تبينت أن القطائف كانت مصيَدة لم يعصِمْنِي منها إلا الصيام .

ثم لنفسه [همسا] : تناومْ يابن حيون "ويتناوم على مقعده" .

صاحب القطائف : يا أصحابَ الباز . غدا يتحدّثُ الأندلس أن صاحِبَكم صرِعَ الأسـد وأخذ الصاعقة من فارِسه الجبار وقد خصصْت نفسى بأمير الخيل الصاعقة فهو حِصتى من غنائم اليوم وما سواه فهو لكم تقتسمونه بينكم فدونكم الجيوبُ

ففتشوها وعليكم بالحقائب فانبشوها وخذوا أثاثَ الخان وعُروضه كل ما خفتْ زِنته وعظُمتْ قيمتُه .

أحد اللصوص : ولكنّ الصاعقة عريان لا سرْج عليه أيها الزعيم .

البازى : بجياد الأندلس جميعا هو كاسيًا كان أو عريانا .

لص آخر : لقد لمحتُ أيها الزعيم فى زوايا الاسطبل سرجًا محلى بالذهب والفضـــة .

البازى : أو أنتم تاركون لى السرْجَ المذهبَ المفضضَ أيها الأصحاب؟

اللصوص : نحن وما نملِك للزعيم .

الباز اللص : إذن فاسبقْنى يا شهابُ فضع السرجَ المذهبَ على الصاعقة وانتظرنى هناك .

[يأخذ اللصوص فى السلب والنهب و ينسلون واحدا إثر واحد بمـا حوت أيديهـم و يبقى رجل منهم فينحنى على سرج عاطل يتأمله و يظن ابن حيون المكان قد خلا فيستوى فى مجلســه و يقع نظر اللص عليه فيرمى السرج العاطل عليــه قائلا ...]

أحد اللصوص [لابن حيون و يرمى عليه السرج العاطل] : خذْ يا شـيخَ السوء

هـذه الخشبَة لعل فيها العوضَ عمـا أفاتَك الصيامُ من القطائف .

[ويخـرج اللص] :

ابن حيون [لنفسه] : شلّتْ يدُ اللص ، لقـد قذَف السرْج بقوّةٍ حتى كسرهُ ولو أصابنى به لتركنى جثةً بلا روح ، يا لله . تُرى أىُّ شىء فى فروج هذا السرج .

[يدنو منه ويمسك به ثم يتأمله ويدس فيه يده] .

ربِّ ما هـذا الحصي ؟ أى مجنون يملأ سرجه بهـذه الأحجـار ... !

[ثم يستخرج عددا من الأحجار البارقة
ويقلبها بين يديه مذهولا قائلا] :

لآلئ ! يواقيت ! أبا القاسم قم فانظر إن الذى حشا
رأسَك بالعِلْم والفِقه قد حشا رُدْنى باللآلئ واليواقيت .

[ثم لنفسـه] يا ابن حيون أين يُذهبُ بك ؟ هذا كنزُ مِلك عظيم من أقيال الروم جدّ به الحرصُ وخاف امتدادَ الفِتنة الى كنزه ،

فاختار له هذا السرج البالى وفى نفسه أن يصونَه أو يموتَ دونه فأخلَفَ الدهرُ ظنونَه .

[يجمع اللالئ بين الدهشة والاضطراب و يقول] :

ابن حيون [و ينظر الى اللآلئ] : لآلئ! يواقيت! ماس! زمرد!
رباه هذا عجل الذهب ، هذا هو معبودُ الناسِ بعدَك
هذا هو المـــال .

[ســـتار]

الفصل الثالث

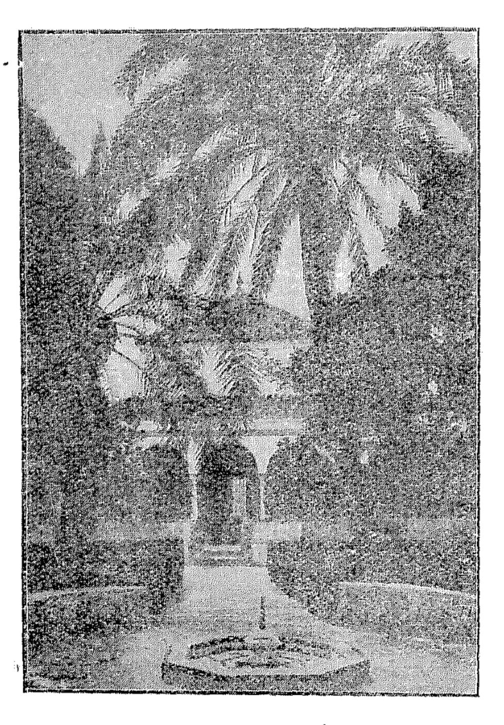
« بستان أمام دار أبي الحسن . الى يمينه باب الدار ومن ورائه شاطئ »
« الوادى الكبير — أبو الحسن جالس فى هـذه الساحة وبين يديه »
« تابع له هو (سـعيد) وجماعة بالقرب منه من السماسرة يتهامسون »

أبو الحسن : ما هـذا ؟ ما أرى ؟ إنى لا أعرِف هذهِ الوجوه؛ فمن الرجالُ يا سعيد وما يبتغون ؟

سـعيد : هـذه الوجوه تحومُ على الدارِ منذ حينٍ يا مولاى وتسألُ عن أجزائهـا وتستفهمُ عن مشتملاتها ؛ وتتحـدثُ عن المكتبةِ خاصة وما عسى تضم من نفائسِ الأسفار .

أبو الحسن [رافعا وجهه الى السماء] : لطفكَ اللهم ! لقد لهِج الناس بالنكبةِ واشتغلوا بالمنكوب، وما أولع الناسَ بالناس .

[ثم الى الرجال] : أيها الرجال تعالَوا فان كنتم ضيوفًا فيامرحبًا بكم، وإن



دار أبي الحسن التاجر

كانتْ لكم حاجاتٌ تريدون قضاءَها فهاتوا اذكروا .

أحدهم : إيذن لى يا سيدى التاجر أن أصارحك القولَ فليس مركزُك بسرٍّ ، والدارُ معروضة لا محالة ، فلنبعْها اليوم ، فقد تغبن جدًا فى الغد .

أبو الحسن : أتُشفِق على الدارِ أن يكسُد سوقها فى غدٍ ؟ أم تشفق على نفسك أن يكون السمسار غيرَك ؟ ... بكم قوّمتُم الدارَ أيها الوسيط المجتهد ؟ وأىّ ثمنٍ تعطون ؟

أحدهم : عندى المشترى لها بخمسين ألف دينار يا سيدى التاجر . تحمل اليك فى الصباح إن قبلت .

أبو الحسن [الى الثانى] : وأنتَ فماذا عِندك ؟

الثانى من السماسرة : عندى الراغبُ الذى يزيد خمسةَ آلافِ دينار .

أبو الحسن [مشيرا الى الثالث] : وهذا الثالثُ الآخَر . ماذا عندَه ؟

الثالث : عندى أيها السيد أن صديقا لك لا أسمّيه يريد أن يشترى مكتبَتَك بالثمنِ الربيح فهل انت بائع ؟

أبو الحسن [في غضب] : والمكتبةُ أيضا أخذوا يتحدثون في شرائها ! ووسادتي وفرشُ نومي أما لهما عندك من طالب أيها الرجل ؟ أُعزُبْ عني ! أعزُبْ وخذ صاحبيك معك وانطلقوا . إن النكبة لم تبلغ بعدُ تمامَها ولم نَبلغ معها الى اليأس .

[يقترب شيخ غريب الثياب ملتفتا الى الرجال الثلاثة قائلا] .

[المغربي الشيخ] : تلك واللهِ وقاحة !

أحد السماسرة : عجلتَ فيها يا وجهَ النحْس !

[ينصرف السماسرة] .

أبو الحسن [يناجي نفسه] : ظهَرَ فيكِ السمسارُ يادار ! اللهم أنتَ أعطيتَ وأنتَ أخذتَ وأنتَ تعلم أني لستُ التاجرَ اللِّص ولا المحتال ، فالطف بي فيما قضيتَ وأعِن ولدي حسوناً على ما يواجِه من فِرار النعمةِ وانتقالِ الأيام [ثم يشعر براحة ويقبل على الشيخ المغربي قائلا] : وأنت يا شيخَ البربر ماوراءَك ؟

المغربي : أنا زائر ياسيدي التاجر . وربما كلمتك في شأنٍ يكون

فيه ارتياحك ورضاك .

أبوالحسن : مرحبا بالزائر . تعالَ يا سيدى نتحدث على هذا الفضاء الطلق . وفى ظل هذا الروض الكريم [يسيران قليلا ثم يجلسان] .

المغربى : أنا يا سيدى التاجر رجلٌ من أغنياءِ المغرب . حبَّبَ الله الَىَّ السياحةَ فى أرضِه . أجوبُ مذ كنتُ البر وأرفعُ شِراعَ البحر . الى أن دفعتنى الأسفارُ منذ أيامٍ الى مدينتِكم هذه أشبيلية الغناء وكنتُ سمعتُ عنها وقرأتُ الشيءَ الكثير . فلما نزلتها ودخلتُ فى مواضِعها وخرجتُ ملأتْ نفسى وشغلتْ خاطرى . فاعتزمتُ أن أجعلَها قَرارى ومُلقى عصاىَ فى رِحلةِ الأيام .

أبوالحسن : ما أسعد أشبيلية يا سيدى بابنِها الجديد البار .

المغربى : مهلا يا سيدى التاجر وخذ الحديثَ الى آخره ، لم يبقَ فى نفسى من هوى الأسفارِ إلا جولةٌ أجولها فيما وراء هذا الأندلُس من ممالكَ للفرِنجة وديار . فاذا كتبَ الله لىَ

السلامة ، أتيتُ هذه المدينةَ فاتخذتُها وطناً وديارا .

التاجر أبو الحسن : مشيّعا بالسلامةِ والكرامة .

المغربي : ولكني مزمعٌ سفَرا شاقا بعيدا . وما يدري المسافر ما وراء الغربةِ من الفُجاءاتِ ، وما تدري نفْسٌ بأي أرضٍ تموت ، ومعي يا سيدي من كريم الجوهرِ ونادرِه ما أخشى عليهِ السّرقة او الضّياع وأنا منقطعُ الوارثِ لا أهلَ ينتظرونَني ولا ولد ، ولقد مررتُ بدارِك هـذه مرارا فكنتُ كلما زدتها تأملا زادتْني بهجةً وروعةً . حتى حدثتْني النفسُ بشرائِها .

أبو الحسن [في غضب] : أأنتَ أيضا ياسيدي أتيتَ تساومُني في الدار !

المغربي : دعني أستَتِمّ يا أبا الحسن فاني جاد ! ما أنا بالمساومِ ولا بالرجلِ الذي يلتمس الفوائدَ لنفسِه من مصائبِ الناس ، ولكني جئتُ أخطبُ اليك الدارَ وأَجعَلُ مهرَها ما أُقدّرُ أنا لا ما تقدرُ أنتَ ولا الناس .

أبوالحسن: ماذا تريدُ ياسيدى؟ بيْن! صرِّحْ! إنى لا أفهمُ ما تقول!

الشيخ المغربى [ويخرج عقد لؤلؤ من كمه]: هذا عقدٌ من كبيرِ اللؤلؤِ وخالصِه قيمتُه زُهاء المائةِ ألفِ دينار خذْه ياسيدى ثمنا لدارِك وآبق فيها وآحرسها لى حراسة القيِّم الرفيق. فان لقيتُك سالما بعد ثلاثةِ شهورٍ تمضى من يومِنا هذا نزلتُ فى دارِى؛ وإن مضتْ هذه المدة ولم أعد، بقيتْ عليك الدار مباركًا لك فيها ولوَلدِك.

أبوالحسن: ولكن يا سيدى هذا الثمنُ كثيرٌ جدا لدار يشتغل بها الآن السمسارُ والدّلال.

المغربى: بربك أيها السيد لا تُعرِض عن خيرٍ ساقه الله اليك ولا تَقِف لأهلِ المروءات فى سبيلهم ولا تستنكرْ على رجلٍ قد زاد مالُه حتى ما يدرى ما يصنعُ به أن يُعين بفَضلةٍ منه كريمًا مثلَك طالما آسى الجروحَ وأقالَ عثراتِ الكرامِ فأجز الصفقةَ يا سيدى أجِزْها.

أبو الحسن [ينظر الى العقد قائلا] : أمائةُ ألفِ دينار ؟

المغـربى : أجل يا سيدى فى أقل تقدير .

[أبو الحسن يأخذ العقد و يتأمله و يقلبه وفى هـذه اللحظة يرسو شراع فتنزل منه بثينة متنكرة فى ثياب شاب ومعها جوهر ولؤلؤ]

أبو الحسن : ما ذا أرى ؟ ماهذا الشراع ؟ مَن الفِتْيةُ ياترى ؟ إيذن لى أيها الزائرُ الكريم وانتظرنى فانى عائد اليك من فوْرى .

[يتجه أبو الحسن نحو القادمين من الشراع . المغربى يزيل تنكره فاذا هو ابن حيون . حسـون يلمح ابن حيون من داخل الكشك فيناديه من وراء مجلسه] .

حسـون : تعالَ يابنَ حيون ألاعبْكَ الشِطْرنج .

ابن حيون : لبيْك ياسيدى حسون .

[ويدخل ابن حيون الى حسون عند اقتراب أبي الحسن من القادمين يسارع اليه ابن غصـين ولؤلؤ وجوهر] .

ابن غصين (بثينة) : السلامُ عليكم ياعمّ .

أبو الحسن : وعليكمُ السلامُ يابنيّ .

ابن غصين : لمن ياعمُّ هذا القصرُ المنيفُ وهذه الربوةُ الغناء ؟ .

أبو الحسن : هذا الكوخُ يابنى لخادمكم أبى الحسن التاجر .

ابن غصين : تسمِّى غرفةَ الفِردوْس كوخا ! هذا منتهى التواضع ياسيدى التاجر .

أبو الحسن : ومن السيِّد ؟

ابن غصين : ولدُك ابنُ غُصين من أبناء أعيان قرطبة، وهذان جوهر ولؤلؤ صاحباى ورفيقا سفرى .

أبو الحسن : مرحبا بشباب قرطبَة النابهْ . إنى أرى الدار قد أعجبتكم يابنىَّ وإنه ليسرُّنى ويشرِّفُ قدرى أن تدخلوا فتقضوا ساعة مع ولدى حسون فانى أرى عليكم الفضلَ والأدبَ والمجادَةَ ، وحسون لا يصاحبُ ولا يجالسُ إلا أهلَ الفضلِ والنُّبْلِ ، فتفضلوا أيها الأدباء وشرِّفوا أخاكم بزوْرة وأنتم واجدون عند حسون كلَّ ما يشتهى النَّشْءُ المثقَّفُ، ففى خِزانته ما قدُم وما حدث من آلاتِ

الطربِ حتى عودَ زرْياب .

جوهر [يصيح] : عودُ زِرْياب ؟

أبوالحسن : أجل يابنى ذلك العودُ الذى على أوتارِه كان عوّاد الأندلُس
يُسمِع الخلفاءَ ما توحِى اليه الجن من روائع الأَلحان
وتجدون كذلك عند حسون مكتبةً لم يُجمع مثلُها فى البلاد .
قد حوتْ الذخائرَ فى كل علم وفنّ .

ابن غصين : وكيف ولعُ فتاك ياسيدى بعلم الفلكَ ؟

أبوالحسن : أشد الولعِ يابنىّ وقد جمع الكثيرَ من نفائس المخطوطاتِ
فيه وفى أولها رسائل المنجم الضبيّ .

ابن غصين : المنجم الضبى ؟

أبوالحسن : أجل يابنىّ وأذكر أنه من شهرين أو أكثرَ أو أقلّ ،
قد انتهت الى حسون رسالةٌ مما وضع الضبى فدخلَه
من ذلك فرحٌ يشبه الجنون .

ابن غصين [لنفسه] : رسالة للضبى من شهرين أو أكثر أو أقل ؟ ! بشراك

ياقلب إنه هو ؛ وبشراكِ ياعين ستكتحلين به الساعة

[ثم الى أبي الحسن] لقد شُـقتنا الى ولدِك الفاضل أيها السيد

فأين من يستأذن لنا عليه ؟ .

أبوالحسن : يامرحبا ! يامرحبا ! ما أعظم حظ حسون . إتبعون

ياسادة اتبعون ، فانى دليلكم الى ناديه ، وإنى أرجو أن

سيُعجِبكُم ، إن حسون شابٌ قد ألقى اللهُ عليه محبة للناس .

[أبو الحسن مع ابن غصين ورفاقه يقفون أمام

كشك حسون . ابن غصين يلحظ لعبة الشطرنج] .

أبوالحسن [لابن غصين] : هو ذا حسون ياسيدى يلعب الشِطْرنج

مع صديقٍ لنا قديم كريم لاتخلو منه الدارُ ساعة .

[أبو الحسن ينادى ابنه] .

أبوالحسن : حسون يا ولدى .

حسون : لبيْك .

أبوالحسن : هذا ابن غصين من نبلاءِ فتيان قُرطبةَ ومعه صاحباه ورفيقا

سفرِه يريدون أن يجتمعوا بك ساعة .

حسون : يامرحبا ! يامرحبا ! أهلا وسهلا بالسادة .

أبوالحسن : لقد جمعتُك بضيفانك الكرام ياحسون والآن أتركُكُم في حراسةِ الله لأعود الى زائري المغربي فانه بانتظاري وأخافُ أن يأخذه القلق .

[أبو الحسن يرجع يفتش عن المغربي فلا يجده] .

أبوالحسن : يا لله . أين الشيخ ؟ أين ذهب [مناديا] سعيد .

الخادم : لبيك يامولاى .

أبوالحسن : ماصنع الله بالشيخ المغربي الذى كان ههنا منذ لحظة ؟ .

سعيد : لا أدرى أين ذهب يامولاى .

أبوالحسن [ينظر في يده وكان قد نسى فيها عِقدَ اللؤلؤ] .

أبوالحسن [لنفسه] : ويْحِى ما ذا أرى ! هذا عِقدُ اللؤلؤ في يدى نسيتُه فيها ياخجلا ! ماذا يقولُ الرجلُ عنِّى ؟

ابن حيون [من داخل الكشك] : سيدى أبا الحسن لقد لمحتُ زائرك المغربي خارجا من الدارِ يُهَروِل فعبثًا تبحثُ عنه .

[حسون مع ابن غصين ورفاقه وابن حيون] .

ابن غصين [لنفسه] : إلهى . صدقنى القلب ما حدث وقلّما تكذب القلوب ، هذا هو شاب قرطبة الذى لم يخل منه القلب دقة [ثم الى حسون] الآن صدّقتنى الذاكرةُ فنحن ياسيدى قد تعارفْنا قبل اليوم .

حسون : وأين كان ذلك ؟ وكيف نلت هذا الشرف ؟

ابن غصين : فى سوق الكتب بقرطبة من نحو شهرين أو أقلَّ أو أكثرَ .

حسون : لله ما أعظمَ حظى . أنتَ والله ياسيدى ذلك الفتى الملثّم الذى نازعتُه رسالةَ الضبىِّ ونازعَنيها حتى غلبتُه عليها . نعم أنتَ هو ، وهذا صوته ، وهذه شمائله ، فكيف اهتديتَ الى كوخى أيها السيد العزيز؟ يامرحبا ! يامرحبا ! جعلها الله بيننا صداقة الدهر .

ابن غصين : ولكن أنتَ ياسيدى تلاعبُ صاحبَك الشطرنج وأخشى أن أقطعَ عليكما لذّة اللعِب .

حسون : لا ياسيدى هذه لذة نجدها فى كل وقت وأما لقاؤكم

والأنس بكم فلذةُ الدهر وخِلسةُ الأيام . تفضلوا ياسادة .

ابن غصين [لجوهر همسا] : إجتهد ياجوهر أن تلاعبَ هذا الشيخَ وتشغَله حتى يخلو لى وجه حسون .

ابن غصين [الى لؤلؤ] : وأنتَ يالؤلؤ إذا أخذا فى اللعِب فقمْ عند رأسيْهما ولا تدعْهما حتى أهمّ بالانصراف .

جوهر [الى ابن حيون] : أتأذن ياسيدى أن أحلّ محلّ السيد حسون فى ملاعبتِك .

ابن حيون : تفضل ياسيدى خذ مكان حَسون وأرحْنى من قُدرته العجيبة على الظفر بالملاعبين، ومن حظّه الذى هو أعجبُ من قدرته .

ابن حيون [الى لؤلؤ] : وأنتَ ياسيدى أتحبُّ أن تكونَ من النَّظّارة ؟

لؤلؤ : ياحبذا لو أذنتَ ياسيدى .

[يتأبط ابن غصين ذراع حسون و يبتعدان ناحية] .

ابن غصين : أحقٌّ أننا التقينا ياحسون ؟

حسـون : أجل ! وكنا نظن ألا نلتق .

ابن غصين : عنايةٌ ولطفٌ وتوفيقُ أقدارٍ لأقدار .

حسـون : وقديما جمع الله الشتيتين ، وطوى الأرض للبعيدين
[يجلسان] .

ابن غصين : أتذكر يا حسون قرطبةَ وسوقَ الكتُب ؟

حسـون : أجَلْ وأذكر رِسالةَ الضبي وكيف كنا نتنافسُ فيها ، وكيف غلبتُك عليها .

ابن غصين [مبتسما] : وأين هى الآن يا أخى ؟

حسـون : هى هاهنا يابن غصين بالقربِ منك وفى متناوَل يدك ، إن شئتَ انتقلنا الى المكتبة فأخذتَها .

ابن غصين : لا يا أخى بل دعْها فى موضِعها من خزانتك فانها عندك فى الحفظ والصوْن وكأنها عندى ، ويكفينى نظرة ألقيها على الرسالة من حينٍ لحين كلما جئتُ دارك زائرة .

حسون [فى دهش] : زائرة ؟

ابن غصين [لنفسه] : ويْحَ لسانى قد عثَر وكشف السرَّ القدر! .

حسون [مبتسما] : كيف تأنثتَ أخي؟ ما أنتَ الفتى الذكر؟ أما كفاك هـذا الصوتُ الساحر الرّنة اللذيذُ النّبْرة حتى جمعتَ اليه أنوثةَ اللفظ واينَ الكلام ؟

ابن غصين [فى تلجلج وغضب] : عثرةُ لسانٍ يا شاب فمُرّ عليها مرّ الكرام .

حسـون : وما أثارك يا أخي وليس فيما قلتُ ما يُغضب ؟

ابن غصين : لنطوِ هـذا الحديثَ ولنرجعْ لمـا كنافيه ... أما يسرّك يا حسون أن أخلق لزيارتك العِلل والأسبابَ وأن أجعلَ رسالة الصبي سلّماً الى دارِك كلما اشتقتُ اليك ؟

حسـون : كلّ السرور يابن غصين، أنا واحدُ أبي لم أعرِفْ عاطفةَ الأخـوّة ولم أجدْ لهـا حنانا ولا رقةً ويخيَّـلُ إليّ منـذ عرفتُك أن قلبي يفيض منها وأن وجداني بها مترَع؛ فهل ترضاني أخا لك شقيقا برّا بك شفيقا ؟

ابن غصين [ويتنهد] : يا مرحبا وإن كنتَ حللتَ من قلبي محل أخي الظافر من أوّل يوم .

حسـون : ويح أذنى ما أسمع ؟ وما أنتَ من الظـافرِ يابن غصين ؟
وما الظافرُ منك ؟

ابن غصين [ويتلجلج فى الجواب] : عثرةٌ أخرى ، ويحَ لسانى اختلَّ عضبُه
واختلط عضَاُله ، إغفر لى هذه أيضا وآنسها يا حسون .

[وكان ابن غصين ينظر الى رباط بذراع
حسون فوثب فى الحـديث وقال :]

ابن غصين : وقى الله ذراعَكَ بيمينه يا أخى ، ما هذا المِنديل؟ ما وراءه؟

حسـون ؟ جُرحٌ اندملَ أكثرُه وبقِيَ أثرُه .

ابن غصين : بَعُدَ عنك الشرُّ يا أخى ، من جرحَك ؟

حسـون : هذا واحد من جراح لم يكن يُرجى أن أقومَ منها لو لم تُلْقِ
عليها العنايةَ يدَها الآسيةُ الشافيةُ .

ابن غصين : بالله إلا حدّثتنى حديثك . أطَلَعَ عليك اللصوصَ يا أخى
فى مكان خالٍ من النـاس فأبليْتَ فيهـم وأبلوْا فيـك ؟
أفاجأتكَ عِصابة البـاز بنِ الأشهب فجرحتَ رِجالهـا
وجرحوك ؟

حسون : لا يا سيدى إن القتالَ الذى شهدتُ أعظمُ شأنا وأنبلُ أقرانا مما ذهبتْ اليه ظنونُك .

ابن غصين : وما خبره وأين كان وكيف ؟

حسون : كان ذلك فى قرطبة .

ابن غصين : قبلَ تلاقينا فى سوق الكتب أو بعدَه ؟

حسون : بل بعد ذلك بأسابيعَ وكنتُ نزيلا على بعض خانات المدينة فكان من عجائب القدر أنى اكتشفت مؤامرة تدبر فى الخان لاغتيال الأمير الظافر وإزالة إمارته عن قرطبة وكان شيطان الفتْنة ورأسُ أفعاها هو الأمير حريز بطل الأندلس المشهور فلما اطلعتُ على سر المؤامرة وخطط أصحابها حتى ثار ثائرى وغضبتُ لوطنى ولقومى فانسللتُ من الخان ليلا وركبتُ جوادا كان معدّا ليركبَه بوقُ الثورةِ والفتنةِ فعدوتُ حتى أتيتُ قصرَ السوسان فنبهتُ الأميرَ وحاشيتَه وحرسَه ولم أكن الى تلك الساعة رأيتُ

للظافر وجها لوجه ولا حضرتُ له مجلسا وتأهبَ الجميع
للقتال وما لَبِثَ الثوّارُ أن طلعوا علينا آتين من نواحى
المدينة يقودهم بطل الأندلس حريز فتلقيناهم بصدورٍ قد
رحّبَتْ بالموتِ ونفوسٍ قد هشّت اليه وذكرنا إذ ذاك
الوطنَ وحقّه وأشبيلية ومِنّتها فى الأعناق فحملْنا حملةً
تحيد عنها الجبال . وكان الظافرُ طيب الله ثراه .

ابن غصين [منزعجا] : حدّثنى يا سيدى عن الظافر، قل لى كيف قاتل ؟
وكيف قتله الغادرون ؟

حسون : تسألنى عن الظافر كيف قاتل ؟ سلْ حريزا عنه فهو ينبئك
أنه الأسد .

ابن غصين : وأين كنتَ من الأمير فى ساعة البأس يا سيدى ؟

حسون : كنتُ حوْله أحمى ظهرَه ويشدّ سيفى سيفَه الى أن ناءتْ
به جراحاتُه فسقط عن جواده وكنتُ أنا أيضا قد أُثخِنْتُ
بالجروح فسقطتُ الى جنبه حتى اذا أفقتُ من غشيتى

نظرتُ حولى فرأيتُ عند رأس الظافر هذا الصديقَ الذى
تراه يلاعب صاحبك الشطرنج الآن .

ابن غصين : وما اسمه يا سيدى ؟

حسون : ابن حيون وهو من رجال العلم والأدب .

ابن غصين : وماذا كان من اهتمامه بالقتيل ؟

حسون : طبَعَ على جبينه قُبلة و بكاه ورحّم ثم ألقى عليه رداءَه .

[ابن غصين يدخل فى الاغماء]

حسون : ما هــذا ؟ ماذا أرى ؟ ما أصابك يا أخى ؟ ما لعيْنيْــك
تغمضان ؟ وما بال رأسك يميل ؟ ويحى ماذا جنيتُ على
الشاب ؟

قد كان عن حديث الظافر لى غِنى رب أصاحٍ أنا أم حالم

[وعند مايميل ابن غصين فى الاغماءة تقع القلنسوة]

حسون : هذه ضفائر فتاة قد هوتْ عنها القلنسوة فانسدلتْ كجنحِ
الليل على جبينٍ كغرّةِ الصباح . أيها الملكَ الكريم لقد عبثتَ

بى إذ كنت تتنكر وتترجل فاعبث اليوم بقلبى ما بدا لك
فقــد دبّ لك الهوى فيــه ، إن شئتَ فتنكر، و إن شئت
فاظهر فلأكتمنّ حديثَك ولاقدّ سنّ سِرّ هواك أن يذاع ،
و يلاه إن الإغماءَة قد طالتْ . ابن حيون ... ابن حيون .

ابن حيون : لبيك يا سيدى .

حســون : أنا فى حاجةٍ إليْك تعالَ وحدَك أسرِعْ .

[يحضر ابن حيون]

حســون : ابنَ حيون أنظر ما ذا ترى لقد أُغمِى على ابن غصين
فاذا الظبيُ مهاةٌ واذا البَدْر يابنَ حيونَ شمس .

ابن حيون [بعد تأمل عميق] : يا لِغرائبِ القدر هذا الوجه عرفته وعشِقته
قبل عشرين عاما من هذه الأيام وقد لقِيتُ بعِشقه الدواهى .

حسون [مندهشا] : قبل عشرين عامًا من هذه الأيام! أهازلٌ أنتَ يا عمُّ؟

ابن حيون : بل جادّ كل الجــدّ يابن أخى . اسمع حسون هــذه بنتُ
الرميكية . هذه أختُ الظافر . هذه بنت ابنُ عباد .

[ســـتار]

الفصل الرّابع

« باحـــدى مقاصـــير قصر الزاهى »
« العبادية والدة الملك ابن عباد مع بثينة »

العبادية : لقد علمتُ يا بثينةُ ما كان من زيارتِك لدار التاجر أبى الحسن وجلوسِك ساعة مع ولده حسون، وأنكِ كنتِ فى زِى الغلامِ وكان معَكِ لؤلؤ وجوهر .

بثينـــة : ومن خبرِكِ الخبرَ ياجدّة ؟

العبادية : عينٌ من الحب وكلتها بِكِ ترعى خُطاكِ وتحرُس حركاتِك وسكناتِك و إن كنتُ عظيمةَ الثقة بنفسِكِ الأبيَّة العالية وخُلقِكِ الفاضل الشريف .

بثينـــة : أنتِ إذن يا جدّة كالمنصورِ بنِ أبى عامر لكِ فى كل نادٍ عين، وفى كل سامرٍ أذُن .

العبادية : لا بل أنا عجوزٌ يا بثينةُ والعجائزُ يتلمسنَ الأخبار ، وأنا أرملُ ملِكٍ وأمُّ ملكٍ يتجسس لى من لم أندبْهُ للتجسسِ ويجيئنى بالأخبارِ من لم أزوّد . ومهما يكن من الأمرِ يا بثينة فلا تنسىْ أننا ما أرخينا لكِ الحبلَ إلا ونحن نعلم أنكِ الفرسُ النجيبةُ التى إذا أُرخِىَ لها الرسنُ لم يخشَ لها جِمَاح ولا شُرود .

بثينة : جعلنى الله عند ظنكم يا جدّة . وببّغاؤكِ نادر يا جدّة أنسيتِه ؟

العبادية : كيف أنساه يا بثينة وقد كان لدىّ كريما وكان سيدَ الطير وكان أخفَّها ظلا وأبينَها حكاية ونقْلا .

بثينة : أتذكرين يا جدّة كيف أشفقتِ عليه فلم ترضَىْ أن يُنْزَع من ريش جناحيه كما يَصنع الناس بالطيرِ الكريم فيأمنون طيرانه وفراره ، وإنما اكتفيتِ بوضع حَلْقةٍ صغيرة من الذهب فى رجلِه اليمنى تمنعه من النهوضِ وتقيده وإن كان

في الظاهرِ حرا يتنقلُ في نواحي القصر .

العبادية [مندهشة] : وماذا أخطر ببغائي نادر على بالكِ يا بثينة وماذا تريدين بذكر الحلْقة .

بثينة : أريد أن أقولَ لكِ يا جدّة أن حالي كحالِ المرحوم نادر . قيدتموني بجوهر ولؤلؤ ومقلاص وبالعيون والأرصاد ثم زعمتم أني حرةٌ طليقةٌ أفعلُ ما أشاء .

العبادية [مبتسمة] : ولكن لا أظن حلقةَ الذهب تُثقل رجْلكِ يا بثينة فاني أرى خدمَ أبيك الملك لا يقصرون في صحبتِك عن خدْمةٍ ولا طاعة . على أن كل هذا لا يهمّني إنما يهمّني أن أعلمَ رأيكِ في الشاب وكيف وجدته . وهل هو على جانبٍ من الفضلِ والعقل يتميز به عن اللِّدَاتِ ويسمو به على الأتراب ؟

بثينة : أما هذا ياجدّة فنعم ، حسون فتى جمُّ العلم غزيرُ الأدبِ عظيم الحظ من الفنون جميعا الى ما وهب له الله من

الشجاعةِ التى لا يضارعه فيها اليوم إلا أبى الملك وإلا شابٌّ كان زينَ الشباب، طاح بالأمسِ شهيد الكرامة والواجب .

العبادية : أو أبدًا تذكرين الظافر يا بثينة، دعيه يا ابنتى فى أعراسِ نعيمِه بين شبابِ الجنة، خبّرينى هل فى شبانِ أمراءِ الديارِ اليوم من هو الكفء لأميرةِ الأندلِس وعروسِه ؟

بثينة [فى حياء] : هبى الكفءَ موجودًا حاضرًا يا جدّة . أهذا وقتُ الفكرِ فى زواجى والاهتمامِ بهِ وأنتِ ترينَ الحوادثَ يجدّ جِدّها والأمورَ تسوء مصايرُها . مسكينٌ أبى الملك أصبح لا يدرى من أين يتلقى البلاء : المغاربة وسلطانهم ابن تاشفين يطلعون من البحر، والأسبان وعاهلهم ألفونس يزحفون من البر، والملك بينهما كالصيْدِ المطارَدِ من جانبيه، إن تلفّت عن يمينِه قُتِل، وإن تلفّتَ عن شمالِه أُكِل، والأندلس فى هذه الأثناء كالأسدِ الواقعِ فى الحفرة إن سكن لم ينفعْه، وإن تحركَ لم يرفعْه، وحدةٌ ممزقةٌ، وكلمة متفرقة،

وآمال بالعدوّ معلّقة .

العبادية : إن بناتِ الملوك إذا بلغْنَ الى مثلِ سِنك يابثينة كان الزواج أزكى بسِترهن وأليقَ بجلالهِن ، وأما ما ذكرتِ من إظلام الجوّ وجَهامةِ الحوادثِ ، فتلك حال اختلفتْ علينا بها السنون حتى ألِفناها وقد تصير الى الأردإ الأسوء . وقد يبعثُ الله برياحِ اللطفِ فتعصِمُ السفينةَ من الصخرةِ وتقيها كارثةَ الاصطدام . بثينة ! بنيتِي أنا الجدّة ولدتُكِ مرتيْن إستريحى إلىّ بسرّك وبوحى إلىّ بمكنونه فلن تجدِى أرحبَ بسِرك ولا أرحم لكِ من هذا الصدر . خبريني يا بثينةُ أتعرفين بين أبناء سرَوَاتِ اشبيلية اليوم فتى يتُوسّم فيهِ الخيرُ ويُرْجى فى أمرِه الصلاح ، ويقول الناس عنه : فلان كفء لبناتِ الملوك ؟ بثينة . لقد مررتِ باسم حسون مرا ولم تِصفيهِ لى . فما شكله ... وما أوصافه ؟

بثينة : هو يا جدّةُ شابٌّ فى أواخرِ العقد الثالث من عمرِه ، رشيقُ القامة فى طولٍ ، أسمرُ اللون فاحمُ الشعرِ جَعْدُه ،

ساحرُ النظْرة، اذا تَبَسم جذبْ، واذا تكلم خلبْ .

العبادية [مبتسمة] : هو إذن فتى جميلٌ يا بثينة ؟

بثينـــة : جدا وخفيفُ الظل فوقَ ذلك .

العبادية [بعد إطراق] : ولكن ... ...

[فأجفلت الفتاة ولاحظت الجدّة ذلك] .

العبادية : لا تغضبي يا بثينة فليس وراء « ولكن » شيء أقوله يحط من شأن حسون وينزِل به عن مرتبة الفتيان الأمجاد ، بل كل ما هنالك أن النـاس يتحدّثون اليوم فى همسهم عن نكبة نزلتْ بالتاجر أبى الحسن فذهبتْ بمعظِم مالِه .

بثينـــة : وما يَعيبُه من هذا يا جدّة ؟ أليس أبو الحسن تاجرا ، والتجارة جزرٌ ومدّ، وحِرمان وجدّ، ونحس وسعْد، فكم من تاجرٍ بمنزلةِ أبى الحسن قد نُكِب فذهبَ عنه كلُّ شيء الا الخلُق، ثم لم تمِض مدّة من الشهورِ أو الأعوام حتى سمِعَ الناسُ وتحدّثوا أن التاجرَ فلانا المنكوبَ تغلبَ بالخلُقِ

على نكبتِه فعاد دولابُ تجارتِه كأمسِ عظيمَ الحـركةِ عميمَ البركة ، ومثلُ أبي الحسن في خُلُقِه وأمانتِه وشرفِ اسمِـه في الأسواقِ لا يبعدُ أن يقومَ من هـذهِ السقْطة ورجلاهُ في عافية .

بثينة [صاغية ثم قائلة] : ... أسمعتِ يا جدّة .

العبادية : أجل ! سمعتُ تنفُّسا .

بثينـــة : تُرى مِن الطارق ؟

[يدخل عليهما الملك] .

المـــلك : صفْحا يا أمّ وعذرا يابثينة اذا كدرتُ عليكما الخلوةَ وقطعتُ عليكما الحـديثَ فوالله ما دفعني اليـكما الساعةَ إلا همٌّ سارٍ وشاغل جليل .

العبادية : لا بأس عليك يا بنيّ ، وعافاك الله أيهـا الملكُ ، تفضلْ ، اجلِس .

بثينـــة : خذْ مكانَك بيْننا يا أبتِ واسترحْ الينا من همومِك ، فهاهنا

الرحمةُ قد بسطتْ جناحيْها : هاهنا الأم والبنت .

[الملك يضع جبينه على كتف بثينة باكيا] .

بثينة [باكية] : ... هوّن عليك ياأبتِ وتجملْ أيها الملك فقبلْك لمَ تبْك الآساد ، ولا اشتكتِ الأطواد، ولا ضاقَ البحرُ عن الأعاصيرِ الشداد . تحدّثْ الينا يا أبتِ ولا تيأسْ من روْحِ الله . وعليك بهذه الجدّة الشفيقةِ والأم البَرّةِ فائتمنْها على سرك .

الملك : الملك الفونس منذ سقطتْ طُلَيْطُلَةُ وقضاها الله له أصبحَ لايعرفُ لى منزلةً ولايألونى تحقيراً وإهانة ويطلب المالَ باستكلابٍ وشرهٍ والبلادَ باستطالةٍ ولؤمٍ؛ ومن عجيب أمرِه أنه يغضبُ من جهة فيصخبُ ويتهدّد، ويلينُ من أخرى فيلومنى على الاستغاثة بيوسفَ بن تاشفين واستنجاد جنودِه ، ويدّعى الطاغيةُ أنه أوفى لى منه عهدًا وذمة وأصفى صداقة ومودّة ، وأننى إن حالفت سلطان

المغرب كانت مخالفةَ الذئبِ للحمَل، وأن بربر المغرب اذا دخلوا الأندلس طغَوْا فى البلاد وهدموا بنيـان الحضارَة فيها، ومن نكد الدنيـا أن تَصْدُق فينا نبوءة هـذا الناصح الغَاش فقد طمِع ضيفُنا ابن تاشفين فى ملكنا وسلطاننا وتطلعتْ نفسُه الى خيراتنـا وأرزاقنا، واستنصرناه على ألفونس فاذا نحن الآن نخشى منـه بطش النصـير، واذا أشبيلية قد تضمّنت منى ومنـه العجب ، النمر فى قصرٍ هنـاك وراء الضفـة يجتمع به أعدائى وأعداء الأندلس من أبنائه الأندلسيين وصغارِ العقول من الفقهاءِ ومن يلتّف عليهم ، وهؤلاء يحسنون له البقاء فى الأندلس واغتنـام الفرصة لضمه الى سلطنته ، ويقيمون عنـده الحجج على فسادِ ملوكِ الطوائف ويجعلونَنى الهدف الأوّل، وهنـا فى هذا القصر أسد مقلّم الأظفار مغلوبٌ على العرين وحيدٌ من الأنصارِ والأعوان .

الحاجب : شيخٌ يدعى ابنَ حيون بالباب يا مولاى .

بثينـــة : أدخله يا أبى وبالغ فى إكرامه فقد سلفَ للرجل إحسانٌ إلينا لا ينبغى لنا أن ننساه أبد الدهر .

المـــلك : أدخِله أيهـا الحاجب ... [يخرج الحاجب من الباب] خبرينى يا بثينة ما إحسان ابن حيون إلينا ؟

بثينـــة : لقد حدّثنى من لا أشك فى صدق روايته أن هذا الرجل صلى على أخى الظافر وبكاه وألقى عليه رداءه .

[يدخل ابن حيون فتسدل العبادية وبثينة كلتاهما على وجهها القناع] .

ابن حيون : السلام على الملك ورحمة الله .

المـــلك : وعليكم السلام أيها الولىُّ الشفيق الحميم .

ابن حيون : لو أذِن لى الملك فى خلوة [وقد رأى السيدتين] .

المـــلك : لاتَخْشَ شيئا ياابن حيون ، فهذه العبادية ، أمى وهذه بثينة بنتى ، فحديثُك لن يساق إلا الىّ ، وسرُّك لن يجاوزَ أذُنىّ .

ابن حيون : أيها الملك . نحن اليوم أخوف ما كنا على هذه الأوطان ،

وفى مثـل ما نحن فيـه تجبُ على الأمةِ النصيحةُ للملك ، وقـد انتهى الى أذنىَّ من بعض الفقهـاء والمختلفين الى ضيْفِك هذا يوسفَ بنِ تاشفين أنه أصبح يرى نفسَه أحقَّ بهذا الملك منكَ وقد رأيتُ رأياً فان أذِن الملك رفعتُه اليه .

الملك : وماذا رأيتَ يا أديبَ الأندلس ؟

ابن حيون : إعلم أيها الملك أن هـذا الضيْف الذى نصرتَه ونصرَك وحالفتَه وحالفَك وقاتلتَ معـه قتالا يبقى حديثَ الدهرِ هو أهل لأن يغـدركَ وفى غدرِك ضياعُ الأندلس جميعا ووقوعِه فى قبضته البربرية الغاشمة ، وقديمـا كان هـذا سلوكُه مع غيرِ واحدٍ من أمراء المغرب فنزعَ منهم ملكَهم وسلطانَهم وشرَّدهَم فى الصحارى والقِفار، فلا تفوتنَّـك يا مولاى خُطة الحزْمِ والعزْمِ فى أمرِ هذا النِّمرِ ذى العِمامةِ والمِسبَحة .

الملك : وماذا تنصح لى أن أصنع ؟

ابن حيون : ألا توطئَ الأرْقم سريرَك ، وأن تقطعَ السيفَ قبل أن يقطعَك ، وأن تقبِض من فورك على ضيفِك هذا فتسجِنَه ولا تطلِقْه حتى يأمر جنودَه بمغادرةِ الأندلسِ برِّه وبحرِه ، ثم يحرُس أسطولُك البحرَ من كل سفينةٍ مغربية تجرى فيه ، فاذا تمَّ لك ذلك أخذتَ على ابن تاشفين الأقسامَ ألا يعودَ الى الأندلس بعدها أبدا . وخذْ منه الرهائنَ فان نفسَ الرجلِ أعزُّ عليه من ملكِ الأندلس والمغرب مجتمعينِ ، وله أعداءٌ ببلاده يخشى تحرّكهم وانتقاضَهم ويخافُ أن ينتهزوا الفرصةَ للإستيلاء على مُلكه ...

العبادية : أيها المتكلمُ المحسنُ والناصح الصادقُ لم يخفَ عليَّ مكانُ مشُورتِك ولكنها خُطة أوّلها لؤمٌ وآخرها شؤم ، فان الملِك أكرمُ وأعظمُ من أن يغدِر ضيفَه أو يخونَ جارَه أو أن يحفرَ الحفْرَة لمن أقالَ عثْرته .

الملك [لابن حيون وقد رآه يضطرب] : لا تُرَعْ أيها الرجلُ الصادقُ فقد كنا

حين نُبئنا بوصولِك نخوضُ فى هـذا الحديث وكان رأيي كرأيك وأما ابنتى بثينة فلم تكن أبدتْ رأيها بعد .

بثينـــة : مولاى . كِلا الصوتين نبرةُ حق . ونصـيحةُ صِـدق ، إلا أننى أميل إلى الأخذ برأى الأديب ابن حيون .

المـلك : بورك فيك يا عقيلةَ الأندلس . مثُل هذا السموّ فى الرأى وهـذا الحرص على حقيقةِ الملك لا يستغربان من بناتِ الملوك المنشّآت بين أعباءِ الدولة ومهامّ السلطان .

العبادية [معترضة] : ونحنُ بناتِ الشعبِ ألا يقام لِرأينا وزْن يامولاى .

الملك [مبتسما] : أنتنَّ تلِدْنَ الأجسامَ الصـحيحةَ والقـلوبَ الجريئةَ وتُحسِّن تدبيرِ البيوتِ ولكن لا تَصلُحْنَ لسياسة الممالك .

الملك [لابن حيون] : لو تيقنتُ يا بنَ حيون أن جمهورَ شبانِ الأندلس يشاطرونكَ أنتَ وبثينةَ الرأىَ لمـا تأخرتُ ساعةً عن العملِ بمـا تُشيرانِ به علىّ .

[يدخل مقلاص] .

الملك : كيف قضيْتَ ليلتك عنـد ضيفِنا أميرِ المسلمينَ يوسفَ ابن تاشفين ؟

مقلاص : كانَتْ ليلتى يا مولاى ونحن ، كما تعلم ، فى آذار وفى إبانِ القمـر طويلةً مظلمةً باردةً لم أُضْحِك فيها السـلطان مرة ولكن بكيتُ مرارًا ولم أجابْ له السرورَ ولكن جلبتُ لنفسى الغمّ .

الملك [متعجبا] : ما هذا الخبرُ يا مقلاص ؟

مقلاص : وُجدتُ يا مولاى بحضرةِ أميرٍ للسلمين لا يفهـمُ كلامَ العربِ وعنـد رأسِه تَرجمان من كتابه يفسرله كل ما نقوله معشرَ العـرب فى مجلســه ويشرح لكلٍ منا ما يشرِّفه به السلطان من الخطاب .

الملك : ثم ما ذا ؟

مقلاص : رأيتُ هنـاك يا مولاى مـلوكَ الأندلسِ وُقـوفاً ببـاب السلطان متنافسِين فى إِذنهِ .

الملك [ملتفتا إلى زائره قائلا] : أسمعتَ يآبن حيون ... ؟ أعرفتَ ... ثم ما ذا يا مقلاص ؟

مقلاص : ورأيتُ ثَمَّ فقهاءَ الأندلسِ بعمائمهم المكبَّرة وجُبَبِهم الموسعةِ يتمسحون بالأعتاب .

الملك : أسمعتَ يابنَ حيون ! أعرفتَ ؟

الملك : ثم ما ذا يا مقلاص ؟ قل لنا كيف وجدتَ السلطان .

مقلاص : بوٌّ عليه طيلسان وبُومَةٌ في يدها صولجان .

الملك : وما ذا قال لك حين وقعتْ عينُه عليك ؟

مقلاص : أدخلتُ اليه يا مولاى فحقّقنى من رأسى لقدَمى ثم قال لى : أأنتَ الرجلُ الذى عمَلُه إضحاكُ الملكِ بنِ عباد وتلهيةِ أسرتِه ؟

الملك : فما كان جوابك ؟

مقلاص : قلتُ له أجل أيها السلطان أنا نديمُ الملكِ وسميرُه .

الملك : فماذا قال لك ؟

مقلاص : قال لى إذا فأضحكنا نحن أيضا . عجلْ أضحكنا .

الملك : فماذا صنعتَ ؟

مقلاص : دخلنى خجلٌ شديد ووقفتُ ساعةً أنظرُ فى ثيابى ولم يفتحِ الله علىّ بشىءٍ يَضحكُ منه ضيفُك الكريم . فهممْتُ بأن أقبِضَ على السلطانِ بكلتا يدىّ وأقذِفَ به من النافذة .

الملك : وماذا منعك يا مقلاص ؟

مقلاص : سيفُه المعروضُ على حِجرِه والزبانيةُ القائمون عند رأسه وبجانبيهِ كأنهم العفاريت ، إلا أن السلطانَ لحظ حرَجَ موقفى فأشارَ بإخراجى فحضرَ من رجاله من صرفنى فى وقاحةٍ وإذلالٍ فخرجتُ وأنا لا أدرى فيمَ طلبَنِى الرجل . وأحمد الله على أن لم يجعلنى فى خدمةِ سلطانٍ مثلِه له وجْهَ كوجهِ الأسد لا يعرِفُ التبسمَ ولا البشاشةَ .

[مقلاص يريد أن ينقذ الملك من تأثره] .

مقلاص : لقد وجدتُ ضالتي يا مولاى .

الملك : وما ضالتك التي وجدتَ؟ وهل عدتَ تهذى يا مقلاص؟

مقلاص : لا يا مولاى ... ألا تذكر أنني كنتُ من الإعجاب بجمالِ الأميرة بثينة وكمالِها وسموّ منزلتِها بين عقائل الشرق والغرب بحيثُ لا أعتقد أن بين فتيانِ الدنيا من هو أهل لأن يخطبها إليك .

الملك [مبتسما] : والآن هل وجدتَهُ يا مقلاص ... ومن ترُى يكون؟

مقلاص : فتى جرئ جميل رأيته يوم الزَّلاقةِ يحمى ظهركَ هو وحريزُ وابنُ لاطون فظل سحابةَ نهارِهِ معلناً بالسيفِ دونكَ حامياً لحوذتِك حتى لقِيَ البطلان حريز وابن لاطون حتفَيهِما وحُمِل هو إلى داره مُثخنًا بالجراح .

الملك : ومن الفتى يا مقلاص ؟

مقلاص : هو يا مولاى أجملُ فتيانِ الأندلس وأشجعُهم وهو الآن طريحُ الفِراش ما يزال يشكو من جراحِه .

الملك : ومن يكون ... ؟ وما آسمه ؟

مقلاص : هو حسون ابن التاجر أبي الحسن .

ابن حيون : لقد صدقَ فتاك يا مولاى فانى كنتُ عند حسون الليلةَ البارحةَ أعودُه وقد أفاقَ من جراحه وقصَّ عليّ حديثَ بلائِه يوم الزَّلاقة حين اشتدّ القتالُ بينك وبين الإفرنج فأخبرنى أنه رأى يومئذٍ جوادَك وقد ضعُفَ وخارَ من شدّة الجراح فقدّم لك الصاعقةَ : أميرَ الجيادِ ، فركبتهُ وكانَ تحت الباذ بن الأشهب لِصِّ الأندلس نخَّرعنه قتيلا .

الملك [مندهشا] : أوكانَ الباذُ بن الأشهبِ بجانبي يقاتِلُ معى أعداءَ البلاد ؟

ابن حيون : نعم يا مولاى ، و يقول حسون إنه أَبْلى يومئذٍ بلاءً عظيما .

الملك : يا لله . أيكون اللصوصُ أوفىٰ للأندلس من أمرائِه وفقهائِه ، وأبذلَ منهم للأرواح دونَ لوائه ... وأين حسون الآن ؟

ابن حيون : هو كما ذكرتُ لمولاى مايزال طريحَ الفراشِ ولكن لاخطرَ على حياته .

الملك : الآن تذهبُ أنت ومقلاص فتنوبان عنى فى عيادته والسؤالِ عن أمرِه وإبلاغِه تحيتى وشكرى وما أُعِدُّ له من جليل المكافأة .

بثينة : وأنا أيضا أبلغُ حسونا تحيتى وشكرى يا سيدى ابنَ حيون وأرجو أن يعلم أن أختَ الظافرِ لم تنْسهُ ساعةً وأنها قد جمعتْ له هذه الأزهارَ بيدِها فاحملْها اليه وقل له لو كنتُ الملك لبعثتُ له بالغارِ فى الأزهار وبالصوبجان مع الريحان .

[وفى هذه الأثناء يدخل جوهر]

جوهر : مولاى . لقد وقَع ما كنا نحاذِرُ وحلَّ بأشبيليةَ البلاء .

المعتمد : البلاء ! تريد أن الصديقَ قد انقلبَ وأن الحليفَ قد عادَ حرْبا . هذا ما خِفتُ أن يكون وقد كان .

[يدخل لؤلؤ]

لؤلؤ : أغِثْ أيها الملك المدينةَ أدركْها فقد خلَّفتُها وجنودُ السلطان يتدفَّعون فيها كالسيل بعد ما اشتدّ ضغْطهم على باب الفرج وأقاموا ساعةً يدفعونه حتى ناءت به الكثرةُ فانفتح فنفذوا منه الى كل مكان فاخرج يا مولاى فقاتِل حتى تَستنقِذَ الوطنَ أو تموتَ دونَه وإلا فالنجاءَ النجاءَ ! !

الملك [مغضبا] : تدعونى يا شابُّ للفرار . هيهاتَ هيهاتْ . الأسَدُ لايهربُ ولا يخافُ الموتَ . [ملتفتا الى جوهر] خبرنى يا جوهر أين كان فتيانُ أشبيلية وأين همُ الآن .

جوهر : قبَع الفِتْيانُ فى البيوتِ يا مولاى إلا مائة أو مادونَ المائةِ شهِدوا معك يوم الزَّلاقة وتعلَّموا منك الكرَّ والإقدام واليومَ قد لبِسوا السلاحَ وخرجوا يلاقونَ الموتَ وهم بانتظارِك ليجعلوك اللواء الذى تسيل نفوسُهم عليه .

الملك : يا بشراى مِائةُ شاب وطّنوا النفسَ على الموتِ ؛ أما والله لو صدقتَ يا جوهر لكان لى من مائة قلبٍ مجتمعة

مؤتلفةٍ متواصيةٍ بالحق وبالموتِ قوّةٌ أرمى بها فى العُبابِ
فيمّحى وأقذفُ بها على الجبال فتزول . البدارَ البدارَ
ياجوهر إمضِ لوقتِك فضعْ بيدِك السرْجَ على الصاعقةِ
والقِنِى به على الباب .

جوهر [بصوت عال] : أبشرى أشبيلية هذا الليث قد تحرّك لنصرةِ
العرين .

الملك : فى ذمةِ الله وفى حفظِهِ يابناتِ المعتمد .

بثينة : فى دِرعٍ من وقايةِ الله يا أبى فإنى أراك أخذتَ سيفَك
ونسيتَ درعَك .

[المعتمد وهو منطلق والسيف مسلول فى يده ولا درع عليه]

الملك : إن يسلبِ القومُ العِدا مُلْكِى وتُسلِمْنِى الجموع
فالقلبُ بين ضلوعِهِ لم تُسلِم القلبَ الضلوع
قد رمتُ يوم نزالِهم الا تحصِّنَنِى الدروع

وبرزتُ ليْس سوى القميـ ـصِ على الحشا شيءٌ دفوع
ما سرتُ قط الى القتـا لِ وكان من أملى الرجوع
شيمُ الألى أنا منهـمُ والأصلُ تتْبعـهُ الفُروع

[سـيتار]

الفصل الخامس

المنظر الاول

« فى دار أبى الحسن ، فى غرفة حسون ، حسون »

« راقد على سريره مريضا وأبوه أبو الحسن داخل عليه »

أبو الحسن : قم يا حسون ، إنهض . إن العِناية بلغتْك مُناك . وشفَتْ بعودِك للحياةِ أباك .

[ينتفض حسون من رقدته جالسا]

أُوشِكُ يابنى أن أهْتدى لموضعِ بثينة فهل تساعدُنى وهلْ تَخِفُّ معِى لعلنا نجدُ الكنْزَ الضائعَ . ونَظفرُ بالأُمْنِيَّةِ المنشودة .

حسـون : ماذا حدثَ يا أبى ؟ ماذا رأيتَ أو سمِعتَ حتى امتلأتَ تفاؤلا واستبْشارا ؟

أبو الحسن : أتذكر يا بنىّ خاتَمَ الزُّمُرُّد الذى كانتْ تطوف علينا به فى سوق الجوهر سيدة كهْلة من وصائف القصر وهى تبحث عن توأمٍ للفص وتلتمسه فلا تجده ؟

حسـون : نعم يا أبى ! وأذكر أنها كانت تنسُب الخاتَمَ للأميرة بثينةَ وتصِفُ رغبَةَ الأميرةِ فى الحصولِ على فَص يكون فى حجمهِ وصفاء لوْنه وسلامتِه من العيْبِ ليكونَ لها مِن الجوهرتينِ قِرطٌ عزيزُ المِثال .

أبو الحسن : فاعلم إذن يا بنىّ أننى كنتُ منذ حينٍ فى سوقِ الجوْهر فما راعنى إلا رجلٌ قوىٌّ من قوادِ المغارِبة قد جعل يطوف على التجارِ يعرِض عليهم حِلْية فأخذتْها عينى فاذا هى خاتمَ الأميرة بفصّه . فتريثتُ الى أن كفَّ المساوِمون وكان آخِر ثمن بُذِل فى الخاتمَ ثلاثُ مائة دينار وكان

التجار يقـولون للرجلِ : لوجئتنا بِصنوِ هذا الحجرِ لنقدناك فيهـما الألف أو زدنا . وهنـاك أومأتُ الى الرجلِ أن يتبعنِي فتبعني . فانتبـذتُ به ناحيـة وقلت له : أنا آخذ الخاتمَ بالثلاثِ مِئة وأزيدُك عليها مِئـة إن أنتَ صدَقْتَنِي الخـبرَ عن مصـدرِهِ وكيف وصلَ اليك ومن أى المعادنِ التقطته ؟ فانبسـط الرجل وتهلل وقال : هـذه الحلْيـة ياسـيدى لجاريةٍ من قصرِ ابنِ عباد وقعتْ لى سبيّةً يوم هجومنا على اشبيلية ، فنقلتها إلى دارى فـلم أجِدْ عليها غير هـذه الحِلْية وكانت فى يدها فأخذتُها ، وأما الجارية فـلم أجِدْها مغْنَمًا بل مغـرَمًا . فانها سقيمة مُستَسْلِمة للأحزانِ طعامُها قليـل ، ونومها غِرار ، ودمعها لا يرقأ حزنا على سادتِهـا . ونحن لا نحب من النساءِ إلا القـويّاتِ الصـحيحاتِ الأبدان . ولا أكتمك ياسيدى أنى بأمرِ الجاريةِ تعِبٌ وبِوُدّى لو تخلصتُ منها . فقلتُ له : خذِ

الآنَ الأربع مِئـةِ دينارا مباركًا لك فيهـا . وآعلمْ أننى طبيبٌ مولَعٌ بالمشاهدَةِ والتجرِيب، كثيرُ الاعتناء بالمريض البائس فلو مضيتَ بى الى بيتِـك لعلّنى أنظرُ الجـارية ، فأَعرِف علّتَهـا وأصِفُ لهـا دواءَها أو أخففُ آلامَها . فقمْنا فمضـيْنا حتى انتهيْنا الى دارِه . وهنـاك أدخَلَنِي على الجاريةِ المريضـةِ فدنوتُ منهـا . وقلتُ لها : عوفيتِ يا جارية ولا خوفَ عليكِ إن شاء الله تعالى .

حسـون : والنُّونَةُ يا أبت ؟

أبوالحسن : رأيتُهـا ياحسون فوجدتُها فوْق ما كنتَ تصِفُ لى لطْفًا وجَمالا . والتفتُّ الى القائدِ البربرى فقلتُ له : أو تعطِينى هـذه الصبيَّةَ أيضًا وأنا أتِمهـا لك خمسَ مِائة . فتهلل الرجل وارتاح وقال: خذها يا سيدى وأرحْنى منها وداوِها أنت فعساها تصِحُّ على يديك فنقدتُه المـائة الخامسةَ وحملت الصبيَّة فوقَ ذراعى وخرجتُ بها فركبتُ جوادى وأركبتُها

خلفى وانطلقتُ حتى بلغتُ الدار .

حسون [صائحا] : وأين هى يا أبتِ ؟ أتُراها هى بنُوتَنها . ربى آجعلْها هى ... وأين تركتَها يا أبى؟ وفى أى موْضعٍ من الدارِ؟

[يفتح باب غرفة مجاورة فاذا بثينة من وراء الباب . فيندفع اليها حسون صائحا ...] .

حسون : بثينة ! حبيبتى ! أميرتى .

بثينة : حسون ! أخى ! صديقى !

أبو الحسن [قاطعا عليهما لذة اللقاء والحديث] : الآن وقد جمعتُك يا أَميرةُ بصديقك وخادِمك حسون ، أستاذِنُ فى الخروج الى بعض شأْنى ساعةً .

بثينة : لا ياعمّ ، بل إبق إلبثْ ، إن وجودَك معنا يَزيد الموقِفَ بهْجة وطيباً .

أبوالحسن : إن أذنتِ يا أميرة فان احتجابى عنكما لن يطول .

حسون : بل إبق معنا يا أبى .

أبوالحسن : سأعود يابنى، سأرجع [ويخرج أبو الحسن] .

حسون [الى بثينة] : ماذا أقول يا أميرتى ؟ وكيفَ القولُ فى هذه الساعة التى هى العمر ؟

بثينة : أنظر حسون كيف جعل الله هذا اللقاءَ الذى لم يكن فى الحُسبان عِوضًا لما فاتنَا من نعيم الحياةِ ومتاعِها، حتى كدتُ أنسى ذلك الملْك المنزوعَ والسلطانَ الذاهبَ، وأسلو القصورَ وضجَّتها، والدولةَ وأعراسها .

حسون : وأنا أيضا يابثينة غفرتُ هفواتِ الدهر لهذه الساعةِ المحسنةِ الطيبة وإن لم أخلُ ولن أخلو ما عشتُ من تفجُّع للوطَنِ العزيز وتوجِّع لرزئه الجليل .

بثينة [متنهدة، مكتئبة بعد انبساط] : آه من الدهر ماذا صنَع . لطفَ الله بِكِ يا أشبيلية فيما حلَّ عليكِ من قَضائِه، وجعلَ وطأةَ المغاربة خفيفةً عليكِ وعلى جاراتِك من حواضر الأندلس .

حسون [مطرقا متنهدا] : دهرٌ ببنيه يابثينةُ قلّب، ودنيا ترْتَجِلُ العجائب،

وملك فى السماء يفعلُ بعباده على الأرض مايشاء، ولكن ...
بثينــة حبيبتى أميرتى : أحقٌّ أننا التقينْا فى يقْظَةٍ أم نحنُ خيالان فى رؤْيا من الأحلام ؟ أتذكرين يا بثينةُ يوْم السوق ؟ أتذكرين قُرْطبــةَ ؟ أتذكرين رسالةَ الضبِّي للهِ ما كان أحلاكِ يومئذٍ وراءَ اللِّثام .

بثينـــة : وأنتَ يا حسون للهِ ما كان أجملَك وأكملَك وكأنَّك يومئذ ملِك . كنتَ تتنقل فى السوق فتخرُج من مكتبةٍ وتدخلُ غيرها وتدعُ كتابا وتأخُذ كتاباً والكتبُ حلْية الشباب النابهِ وجمال الفتُوةِ النابغَة .

حســـون : أتذكرين كلَّ ذلك يا بثينة ؟

بثينـــة : أجلْ كلُّ ما كانَ من حركاتِك وسكناتِك يومئذٍ ومن عباراتِك وإشــاراتِك ما يزالُ مُرتَسِماً فى ذهْنى لم تمحُه الشهورُ ولا أحسبُ الموْت يمحوه .

حسون [يمد يده الى ذقنها ويقول] : بحياتى نونه كالدرة المكنونهْ .

بثينة [فى شىء من الغضب] : نح يدك يابن أبى الحسن لا تمـدّها الى ما لم تملك بعْد .

حسون [فى انكسار واستحياء] : أغفريها للحب وللشوق يا أميرة . شُلَّتْ يدى إن كنتُ أضمرتُ سوءا أو هممْتُ بريبة .

[يدخل أبو الحسن] .

حسـون : أبى ! أبى لم تُبطئ يا أبى .

أبو الحسن : كنتُ مشغولا يا بنى بتهيئةِ طعامِ الأميرةِ .

بثينـــة : جزاكَ الله خيرا ياعمُّ ومدّ لنا عمرَكَ .

أبو الحسن [يأخذ مجلسه و يقول] : الحمد لله ياولدىَّ على هذا التلاقى الذى هو من توفيق الأقدار، فاليوم جمعكما هذا البيتُ على أثرِ الكارثة وفى أعقاب النكْبةِ كما يجمع الشاطئُ الغريقيْنِ سالميْنِ بالرمق من انكسارِ الفلْكِ ومن ثوْرة الريح وطغْيانِ الماء، لقد تعارفْتما بالأمسِ فنشأتْ بينكما الأُلفة وأنِست الروحُ بالروح، وانعطفَ القلْبُ على القلْبِ وقديمًا يا أميرةُ

صاهرتِ الملوكُ الرعيةَ وأبوكِ ، لطف الله به وبنا جميعا فيما حل علينا من قضائِه وقدرِه ، أسمحُ من سنَّ هذه السنّةَ ، فرفعَ على عرش اشبيلية امرأةً من رعاياه ، هى الرميكية خيرةُ المليكات ، وأمَّ العقائل من البَنين والبناتِ .

بثينة : أراكَ ياعمُّ قد بالغْتَ فى مؤاساتى حتى أنكرتَ يدَ الدهر وما نالتْ منا ، وإلا فأينَ أبى منِّى اليوم؟ وأين مِنْ أبى مُلكُه ؟ وهل نحنُ اليوم إلا سوقةٌ نتنصّفُ .

أبوالحسن : هوّنى عليك يا أميرةُ إن أباكِ لم يخلعْه قومُه ، ولكن خلعَه المُغيرون ، فهو فى نفوسنا معشرَ الأشبيليين حاضرُ الجلالَةِ ماثلُ المهابَة مرتسِمُ الكرامَة ؛ يومُه كأمسِه وغدُه كيومِه وإن اختلفَ به اليوم والغدُ وتصرفتْ به الأيام ؛ وأنتِ أيتها الأميرة فما زلتِ بنتَ الملكِ المعتمد بن عباد ، فهل تنْزلين الى القبولِ بابنى هذا حسون زوْجا .

حسون : وخادِما أمينا .

بثينـــة : هـذا كثيرٌ فى المجاملة والمواساةِ ياعمٌ ، إن حسونًا كفءٌ ويشهدُ الله أنى أحبـه وأجِلُّه ، وكأنى بأبى فى غيابةِ سِجْنِه ينظرُ اليه كما أنظرُه . ويشعُر نحوَه بمثل ما أشعُر . ولكنى ، كما عَلِمْتَ ، مفجوعة : بأبٍ منكوبٍ ، ملكٍ مَعْزولٍ ، أُخِذ فغُـلَّ ، ثم سربل الذلَّ ، وبأمٍ ثكلى وإخوة قتْلَى ، وأخواتٍ أميراتٍ يتعـذَبْن من الخلْع ويتكسبن من غَزْلِ أيديهن .

حســون : قـد قُلتِ حقا يا أمـيرةُ وأنا لا أتخيل الجميـعَ هناك إلا مشـغولين بكِ فوقَ منْفاهم . يفتّشون عن مكانِك بعـيْنٍ حيَّرها الدمعُ ، ويد قصَّرها العجزُ ، وقدمٍ أعجزَها القيْد .

بثينــة : أذًا فأنتَ ترى أنه ليس من الحق ولا من البرِ ، أن أُوجَدَ ولا يعلَمون أنى وُجدتُ ، وأن أتزوّجَ ولا يعلمونَ كيف وَبِمن تزوّجْتُ . وماذا يقولون اذا همْ عَلِموا أنى اتخذت من مأتمهم عُرسا !؟

ابن حيون [يدخل و يقول بعد أن رأى بثينة ، مندهشا] : سيدتى بثينة هنا ؟
الأميرةُ بخيرٍ ؟ ما أعظمَ منّتَكَ يارب .
[ويحاول تقبيل يد الأميرة فتمنعها منه] .

بثينة : لا تفعلْ ياعمّ . أهلا بك يا بنَ حيون . وما أعظم سروري بِلِقائِكَ .

أبوالحسن : أنظر ابن حيون . نعمةَ اللهِ علينا بهذا الكنْز الغالى الثمين .

حسون : أنظر ابنَ حيون كيف ردّ الله علىّ راحتى ورُوحى ، وأعادَ لى الحياةَ والآمال .

ابن حيون : الحمد لله الذى جعَلَكِ فى حفْظه وفى ذمّتِه ، والذى ردّكِ الينا سالمةً ياسيدتى ، والذى هو قادرٌ على أن يَجمعكِ بأهلكِ كأمسِ على جاهِ الأمورِ وفى ظل شاهقةِ القُصور .

بثينة : لقد رأينا ياعم كيف تنتقل الأمور ، وعرفْنا كيف تُبدِّلَ أهلَها القصور ، وأصبحتُ لا أطمع من دهرى إلا بالعْيشِ فى ظل الأمنِ والخمول ، و بين قلبٍ يحنو ، ونفسٍ تعطف .

ابن حيون : طيبي إذن ياسيدتى نفْسا ، إن الذى تشتهين قد اجتمع لك ، فالأمن والسكون لا تعدمينهما فى جناحٍ من هذه الدار ، أو فى جَنَّةٍ بعيدةٍ عن النَّاسِ من جنَّاتِ هذا الإقليم وإنى أشْهَدُ أن هذا الفتى يُحبكِ وأنكِ ملءُ قلْبِه وملءُ نفسِه ، فأقرنى ياسيدتى حياتَكِ بحياته تَجِدى حقيقةَ السعادةِ فى ظل الحبِّ المشتركَ الصحيح .

حسون : كان هذا حديثنا ياعم قبل حضورك ولكنْ لم نكن فرغْنا منه بعدُ . وقد رأتِ الأميرةُ بِرًّا بوالديْهَا وقضاءً لحقِّهِمَا أن يكون زواجُنا بعيْن أبيها وسمْعه ، و بقَبول أمِّها ورِضاها . وكل زواج رَضِيه الأبوانِ وارتاحا اليه سَبقتْ فيه البَركةُ وطافَتْ به الرحمة .

ابن حيون : لقد رأيتم صوابا . واتفقتم على واجبٍ كان لا بدّ من قضائه . ولا أظنُّ هذا المقترَحَ لقى منكَ اعتْراضا يا أبا الحسن .

أبوالحسن : معاذَ الله يابنَ حيون ، ولكن ألا تَرَى معى أن حسُّونا والأميرةَ محتاجان الى الراحةِ واستردادِ العافية .

ابن حيون : أما هذا فنعم ، ولِمَ لا يقْضى حسونُ والأميرةُ هذا الأسبوعَ فى هذهِ الدّار حتى تثوبَ اليهما القوّةُ والعافية .

حسون [مقاطعا] : أتأذنُ لى يا أبى إن رأيت غيرَ رأيك ورأيِ ابنِ حيون ؟

أبوالحسن : تكلمْ يا بنىّ فأنتَ حر .

ابن حيون : الكلامُ حر فى الأندلس ياحسونُ فتكلمْ .

حسون : أرى يا أبى أن نُسافِر من ليلتنا بل من ساعتِنا الى أغماتِ مَنفَى الملك .

أبوالحسن : نُسافِر ؟ نسافِر الساعة ؟ وأنتَ والأميرةُ على هذه الحال من الضعفِ والسقام ؟

حسون : أبى إنى ذكرت الوالدين المنكوبين نخيل إلىّ أنهما على جمرٍ لا يهدأ من اللوعةِ لاحتجابِ الأميرةِ والشك المعذِّب فى مصيرها ، وليس ما ذكرتما أنتَ وابنُ حيون من ضَعْفى

وضعفِ الأميرة وأثرِ السقْمِ والهمِ فينا إلا حالًا لا يلبثُ الشبابُ أن يتغلَّبَ عليه ، فالمروءةُ تأمُرنا جميعا ألا نؤخّر الرحيلَ ساعة إذ لا معنى للإسْعافِ اذا هو لم يعجّل ولم يأتِ فى أوانه .

ابن حيون : هو ذاك .

أبوالحسن : نعم الرأى .

الأميرة : ليَكُنْ كما أشارَ حسون .

حسون : إذا فهلُمّ أبى ، هلُمّ ابنُ حيون ، هلُمّى يا أميرة . الساعةَ نسافر فنقضى الواجبَ .

الأميرة : ويقضى اللهُ ما يشاءُ .

[يدخل الغلمان الخدم صائحين]

الغلمان : سيدى أبا الحسن ، سيدى حسون ، سيدى ابن حيون خُذوا حِذْركم أدرِكوا الدّارَ .

حسون : ما يُزعِجكُمْ أيها الغلمان . وماذا حوْل الدار . إنى أسمعُ

ضجة . أما تسمعْ يابن حَيون أما تسمعْ ضجةً يا أبى ؟

بثينـــة : حوْل الدارِ ضجة .

خادم من الغلمان : أولئك جنودُ المغاربة يا سيدى .

الثلاثة [بصوت واحد] : جنودُ المغاربة حول الدار ! ؟

الخـادم : أجل أتوْا يسألونَا عن بنْتِ الملك هل رأيناهَا وهـل آويناها وهم يقولون إنهـا دخلتِ الدار منذُ ساعةٍ وإنهـا طريدةُ الأمير سيرى بن أبى بكر قائد جيش الفتح .

حسون مغضبا : بل قلْ جيش الفضْح يا غلام ، فقد باء الغادِرون بفَضيحةِ الأبد .

بثينـــة : الآن فهمتُ يا حســون ، الآن أدركتُ ياعمِّ أَنَّ ســيرى ابن أبى بكر كان قد خطبَنى الى أبى ، وكان رسُوله يومئذ القاضى ابنَ أدهم ، فلا أبى أجابَ ، ولا أنا قبِلْت ، ولعله تذكرنى اليوم فهو يريد أن يأخذنى عنْوة .

حســون : لا والله يا بنتَ الملك لا تســقطُ من رأســكِ شعْرةٌ وأنا

حيٌّ ساعدى معى وسيفى بيَدى مسلول .

[و بعد إطراق يستأنف و يقول]

حسون : لا بأس عليكِ يا أميرة، ولا علينا يا أبى من طلعةِ البرْبر
ولا من اجتماعِهم بنا فى هذه الحجرة أو غيرها من الدارِ
ولا خوْفَ علينا من فتْشِهم ونبْشِهم .

التاجر : وكيف يا حسون ؟ وماذا اعتزمتَ أن تصنعَ لتدفعَ عنا
هذا البلاء ؟

حسون [بعد فكرة قصيرة] : إسمْع يا أبى ! فى هذه الغرفة صُنْدوق مملوءٌ
من ثيابِ المغارِبة وأسلحتِهم فاتبعونى . أُدخلوا من
فورِكم فاخلعوا ثيابَكم هذه وخُذوا من الصِّندُوقِ ما شئْتم
من ثِيابِ المغارِبَةِ وتزيوًّا بِزِىِّ القومِ ثم نخرُجَ فنختلِطُ
بهم أو ندعهم وسبيلهم ونأخذ سبِيلا غيْره .

ابن حيون : هو لاشك سبِيل الفِرار .

حسون [مبتسما] : هو ذاك يابنَ حيون : السرعةَ، السرعةَ [ثم ملتفتا الى

الأميرة] أدخلى يا أميرة ، أسرعى ، أسرعى ، ليضيعنّ الوقتُ
فان الجنودَ فى طلبنا .

[يدخل الأربعة الحجرة ثم يخرجون فى الزى
المغربى و يكون الجنود قد دخلوا وهم يقولون]

الجنود [داخل المنزل لبعضهم] : فتشوا ، انبشوا .

الأربعة [خارجين قائلين] : فتّشوا ، انبشوا [و يكررون ذلك ثم ينسلون من المكان]

المنظر الثانى

« تحت أسوار السجن فى أغمات حيث ترى بثينة وحسون »

« وأبو الحسن وابن حيون على مقــربة من حارس السجن »

ابن حيون : ها نحنُ أولاءِ شارَفْنا أغمات، وهذه أيها الرِّفاق هى القلْعة التى شاءتِ الأقدارُ أن يسجَن فيها الملِك العظيم .

حســون : يا لِعجائبِ القــدرِ ! قريةٌ ظلّتِ القــرونَ الطوالَ مجهولةً مغمورةً أصبحتِ اليومَ تسافِرُ اليها الظنونُ من كل مكان وتشتَغِلُ ممالكُ العربَ بها و بنزيلِها العظيم وتشرِف الأسماعُ لمطالِعِ قوافيه و ينتظر الرواةُ مايقول فيه الشعراءُ من كلماتِ التوجُّعِ ونفثاتِ الحنين .

بثينة [بعد إطراق واستعبار] : يالقسوةِ القــدَر ! أهــذا قفصُ الأسَــد يابنَ حيون ؟ أههنا منْفى الملائِك من عقائل بَنى عبَّــاد؟ تبًّا لك يابنَ تاشــفين . ما كان أبخلَ جاهَك على الكِرام ،

وما كان أكثرك فى القُيود على الأحرار .

ابن حيون : صهْ أيتها الأميرة فهذا السجّان ينظرُ الينا وقد يُدخِل الريبة فى نفسِه أن يسمعَ منكِ مثلَ هذا الكلام .

حســون : كفْكِفِى الدمعَ يابثينــة وأقلِّى الجزعَ ولا تنسيْ أن وراء هذه الجُدران جروحا من الدهْرِ لم يبق لها بلسمٌ سواكِ .
فكونى المفاجأةَ الشافِيــة وآطلِعى عليهــا بابتسامِك الحُـلوْ طلوعَ العافية .

السجان : مَنِ الرجال ؟ ما تبتغون ؟ متى كان حرمُ السجن موضِــعَ وقوف وهمْس ؟

حســون : نحنُ أيها السجان طائفة من آل الملك السجين وحاشيتِه، قد هزَّنا الشوقُ إلى زيارَته والسؤالِ عن أمرِه، فادخلْ فاستأذنْ لنا عليه .

الســجان : أنسيتَ أيها الفتى أن هــذه القلعةَ هى من السُّجونِ التى يُعيرها السلطانُ اهتمامَه فلا يدخُلها داخلٌ إلا باذنه ولايخرجُ

منها خارجٌ إلا بإذنهِ، فهل بأيديكم جوازٌ يبيح لكم زيارةَ السجين ؟

ابن حيون : أنتَ تعلم يا أخى أن مولانا السلطانَ يعطِف على أسيرِه الكريم .

السجان [متهكما] : كلّ العطف ياسيدى .

ابن حيون : وأنتَ تعلم أن الملِك المُعتمِد قد رُخِّص له من أوّلِ يومٍ فى استصحابِ من يشاء من خواصهِ وذوى قرباه .

السجان : أعلمُ هذا أيها السيد .

ابن حيون : فكر إذن فى الأمرِ قليلا . فليس يضرُّك أن تُدخلنا إلى الملِك وتتركَا عنده ساعةً لعلنا نُشفى برؤيته وحديثِه الشوقَ والصبابةَ [ويلق للحارس صرة ويقول] ومعَ ذلكَ فاليك هذه الصرّة خذْها وبلّغنا الأرَب .

السجان [وهو يضع الصرة فى كمه] : ما هذا أيها السيد ؟

ابن حيون : هذا . قد لمستَه بيدِك، هذا قد سمِعْت رنينَه بأذُنِك، هذا

يا أخى هو الذهَبَ مفْتاحُ الأبوابِ كلِّها إلا بابَ الجنـة .

الحارس : هذا كثير يا سيدى .

ابن حيون : بل هو قليلٌ يا أخى . ولك مثلُه عنـد خروجنا من حضرة الملك .

السجان : لقد سألتمونى أمراً صعْبا أيها السـيد ... ومع ذلك ... فما فى دخولكم من بأْس . تفضّلوا يا سادة أُدخلوا .

المنظر الثالث

« فى سجن أغمات حيث يرى ابن عباد بين أمه وزوجه وسائر أولاده »
« وحاشيته ، وقد شاعت آية البؤس والتعاسة فى وجوه الجميع ، اليوم »
« يوم عيد وقد جلس ابن عباد يتلقى تحية العيد وكلهم صامت خاشع ... »

ابن عباد [مناجيا نفسه] :

فيما مضى كنتَ بالأعيادِ مسرورا
فساءك العيدُ فى "أغمات" مأسورا
ترى بناتُك فى الأطمارِ جائعةً
يَغزِلْنَ للناسِ، ما يملكنَ قِطْميرا
برزْن نحوَك للتسليم خاشعةً
أبصارهُنَّ حسيراتٍ مكاسيرا
يطأْن فى الطين والأقدامُ حافيةً
كأنها لم تطأْ مِسْكا وكافورا

من عاشَ بعدَكَ فى مُلك يُسرُّ به
فانما عاشَ بالأحلام مَغْـــرورا

الرميكية[للملك] : الأميراتُ بين يديْك أيها الملِك أتيْن يهنِّئنَك بالعيد .

المـــلك : يامرْحبًا بهن، ولا مرْحبا بالعيد ولا أهلا بهِ ...
عيـد ! بأيةِ حالٍ عدتَ يا عيـد ؟ إذهبْ فأنتَ على السجين حرام .

الملك[لنفسه] : لكن لا يابنَ عباد! بعضَ هذا الجزع، وتجلدْ رحمةً بهذه الحمائم الموثقةِ و رفْقا بهذه الملائكة المسجونَة .

الملك [الى بناته] : العيد يا أخواتَ بثينة يوم يجمعُنا باختِكُن .

إحدى الأميرات : والعيدُ أيضا أيهـا الملك يوم يرُد الله عليـك مُلْكك فتدخلَ أشبيليةَ عليك التاجُ مُؤتلِقا .

أميرةأخرى : بل العيـدُ يا أبي يوم تدخل الأندلسَ فتتنقّلُ فى ربوعه وممالِكه تنقُّلَ الشمس من دارٍ إلى دار .

المـــلك : تقبَّل الله منكنَّ يا عبّاديّات ورحِمنى .

إحدى الأميرات : هوّنْ عليك يا أبي فلم يدمْ في النّعيم والبؤْس قوْم .

الملك : لقد هوّن الصبرُ الحوادثَ عندى يا بنتاه إلا حادثةً أصبحَ القلبُ جريحا لا يقْوى على حملِها .

الأميرة : وما تلك يا أبتِ .

الملك : أختُكِ بثينة واحتجابُها الذى طال . وانقطاعُ الأخبارِ عن مصيرِها .

الرميكية : لا تيأسْ من رحمةِ الله أيها الملكُ وانتظر فرَجا يأتى به من فضْله وكَرمه فهذا قلبي يحدِّثُني ، وقلّما كذبتْ قلوبُ الأمّهات ، أنَّ بثينةَ قد وُجدتْ وأنها بخيرٍ وأمان .

الملك [باكيا متضرعا] : اللهمْ اسمع من أمَتِكَ الرميكية وتقبلْ منها وأَدخلْ علينَا السرور ولو ساعةً فان عهدَنا به عهدٌ طويل .

[الأميرات ينصتن] .

الرميكية : ضجة ؟

أميرة : حركة !

أخـرى : نقل أقدام !

الملـك : أنظري يارميكية من الداخلون ؟ فان عيني أصبحت لا تحقق الأشباح .

الرميكيـة : سلم الله عينيك يامولاى وأقرهما بلقاء بثينة .

[وفى هذه الأثناء يثب مقلاص الى الباب و يرجع مع] .
[القادمين يقبل ثوب الأميرة بحرارة قائلا ...] .

مقـلاص : سيدتى بثينة ! أميرتى ، ياطربا ، يافرحا .

الملـك : ربِّ ما أرحمك ماذا أرى ؟ ماذا أسمع ؟ ما هذا الطيب الذكى ؟ إنى أجد ريح بثينة .

الرميكيـة : بشراك ياقلب هـذه فلذتك ردت إليك [وملتفتة الى الملك] سيدى مليكى أنظر كيف استجاب الله لنا ؛ هذه بثينة مقبلة .

الملـك : أجل ! أيتها الملكة أقبلت الدنيا وعاد الزمان .

إحدى الأميرات : بثينة ! أختى ! ما أعظم إحسانك يارب .

الملـك : بنيتى . بنيتى . تعالى املئى ذراعى كما كنت تختبئين فيهما

طِفْلة صغيرة .

[تنطرح بثينة على صدر والدها وتقول] .

بثينـــة : أبى ، سيدى ، ملكى ، لا بأس عليك يا ملكَ العرب .

المـــلك : ولا عليكِ يا ابنتى ، ثِق بالله وأمِّلى وجهَه الكريم .

بثينـــة : الصبرُ منكَ تعلمناهُ يا ملِكَ الصابرين .

المـــلك : والجدّةُ يا بثينة أنسيتِها ؟ أما بِك اليها شوْق؟ أما لها مِنْك قُبْـــلة ؟

بثينة [وتقوم لجدّتها] : جدّتى ، سيدتى ، ملكتى : شهد اللهُ ماخلا القلبُ منك ساعةً وما وُجِدتُ فى مَضيقٍ فذكرتُك إلا انقلبَ فَضاءً ولا أظن الله سبحانه وتعالى أنقذَنى من البلاء وردّنى الى أسرتى وردّ أسرتى الىّ إلا ببركة رِضاكِ أطال الله عمرَك يا جدّة .

[ثم ترتمى بثينة فى أحضان العبادية جدّتها وهى محاطة بأخواتها الأميرات تقبلهن و يقبلنها حتى اطردت اللوعة وأخذها أبواها بينهما وانتظمت من الأسرة الملكية حلقة . وهناك أقبل الملك على ابنته بالحديث فقال] .

الملــــك : خبريني كيفَ اختُطفتِ يا بثينةُ وما حديثُ اختفائِك ؟
حدِّثِينيه ليطمئنَّ قلبي فقد كان احتجابُك في غليانِ الفتنةِ ،
وعند احتــدام الفِتن يُذال المصونُ ويهون العــزيز وتقعُ
الفُجاءات .

بثينــــة : ولكن الله سلَّم يا أكرمَ الاباء .

الملــــك : حدثينا إذن حديثَك يا بثينة .

بثينــــة : حديثي يا أبتِ عجيبٌ ، محزنٌ ، سارٌّ ، مبكٍ ، مضحِكٌ ،
حافلٌ بعجائب القدَرِ ومدهشاتِ القضاء .

الأميرات : حدّثينا إياهُ يا أختُ أسرعي .

الرميكيــة : قُصّي علينا يا بنتاه قِصّتك .

الملــــك : خبريني الخبَرَ يا بثينة .

بثينــــة : نظرتُ اليك يا أبي يومَ هجوم المغارِبة على أشبيلية فرأيتُك
تقاتِلُ وحيدا قليــلَ العونِ والمساعدِ وكأنَ أشبيليــةَ تحتكَ
العــرينُ وكأنك الأســدُ يحمي عرينَه شِبْرا شِــبْرا ، فقلتُ

في نفسي : علامَ تعلّمتُ الضربَ بالسيفِ وعلامَ كنت أركضُ جيادَ الخيلِ في سهولِ الأندلسِ وحُزونه إذا أنا لم أقضِ حقّ وطني ولم أحمِ ظهرَ أبي في هذا اليوم العصيب ، ثم جعلتُ على وجهي لِثاما وتقلدتُ سيفاً وامتطيتُ جوادا وخرجتُ من القصر فلحقتُ بك ، فلم أزلْ أقاتل بجانبك وأحامي عنكَ حتى امتدّتْ اليّ يد من حديدٍ فاقتلعتْني من سرجي فأُغمي عليّ ثم انتبهتُ فاذا أنا في دارِ رجل من قوّاد المغرب .

الملك [مغضبا] : وماذا لقيتِ من المغربي الخشن ؟

بثينة : لم ألقَ إلا خيرا يا أبي فقد كان الرجل ديّنا وتقيّا ، أخذَ ما عليّ من الحُليّ .

الملك : يا له من دينٍ تقيّ .

بثينة : ... وتركني فلبثتُ في دارِه أياما طريحةَ الفراشِ لا أذوق طعاماً ولا أطعمُ رُقادا ، إلا ما كان من سَكَراتِ الحمّى ،

الى أن سخّرت لى العناية هذا الشيخَ الجليل [وتشير الى أبى الحسن] فلم أدرِ كيف نُقِلتُ الى دارِه وهى لا تقِلُّ رِفْعة عن قديم دُورِنا ولا تقصر بَشاشة نعْمةٍ عن زائل قصورنا .

الملك [فى قلق وغضب ، مشيرا إلى حسون] : وهذا الشابُّ من يكونُ يابثينة؟

بثينـــة : هـــذا حسونُ بنُ هذا الشـــيخ الجليلِ التاجرِ أبى الحسن ، وله عنْــدنا أيادٍ يذكرُها مِثلُك فى الكرام فقــد قاتلَ الثوارَ فى قُرطبة مع أخى الظـافر رحمةُ الله عليه ، وأبلى فى وقْعــة الزَّلاقة بلاءً كان له خطره وأثرُه فى ذلك الفتْح المبين .

ابن حيون [متدخلا فى الحديث] : وقد جُرِحَ حسون يومئذٍ جُرحا بليغًا فحملَ الى دارِه فما بلَغها حتى بعثَ اليك أيها الملك بالصاعقة ذلك الجوادُ الأشقر فركبتَه والوطيسُ حامٍ والحربُ مجنونة فكان ميمونَ الناصية ، من صوتهِ نصرتَ ، وفى ركابه غَلَبتَ وظهـــرتَ .

الملك [مفكرا مهتما] : الصاعقة؟فرس الباز بن الأشهب لِصِّ الأندلس؟

ابن حيون : أجل أيها الملك ، وقد كان تحتك في وقعة الدهر بين الفرنجة والمسلمين وكان رابع فرسٍ قُدّم لك يومئذٍ وأنت كلما هَلك تحتكَ فرس ركبتَ غيره .

العبادية : أعرفتَ محدِّثكَ هذا يا مولاى ؟

الملك : كيفَ أجهلُه أو أنساه ؛ هذا ابنُ حيون الذى زارَنا فى أشبيلية ونصحَ لنا فلم نَسمعْ منه ، فالحمد لله الذى جمعنا به حتى نَستأنفَ شكر إحسانهِ .

ابن حيون : أطال الله بقاءك يا مولاى وأعانَك على هذه الشدّة وردّك الى ديارِك وردّ ديارَك اليك .

الملك : وأنتَ ياحسون فقد ذكر لى بلاؤك ووصفتَ عندى كثيرا بمحاسن الصفاتِ ومكارِم الأخلاق .

حسون : مدّ الله حياتَك يا مولاى وظلّلك برعايتهِ وأمانهِ .

بثينة : إيذن لى يا أبى أن أعترفَ فى مجلسك بأننى كنتُ فى بعض أيام تنكُّرى أجتمعُ بهذا الشاب النبيل فلا أجدُ إلا أدبًا

حسنا ، وعلْما جمًّا ، وخُلقا فاضلا ، وشمائلَ قد لا توجد في أبناءِ الملوك .

الملك : أتذكرين يا بثينة كيف كنتُ معكَ ضدّ القاضى بنَ أدهم حين جاءنى يخطُبكِ للأمير، سيرى بنِ أبى بكر .

بثينة : أذكر ذلك يا أبى ولا أنسى لك فضْلك ما حييتُ .

الملك : إعلمى إذن يا بنية أن الأوان قد آن وأن الإسلام لا دير فيه ولا رهبانية ،وأن السجْن قد يحتَمِلُه الطفلُ وقد يُطيقه الكهل ولكنه يرهقُ الشبابَ ويزهقه فلن نرضى لك أن تشاطرينا هذا المنزل الخَشِن وهذه العِيشة الجافيةَ وإن قلبى ليحدّثُنى بأن ألفةً روحيّة قد انعقدَتْ بينكِ وبين هذا الشاب النبيل .

حسون [متدخلا] : أيأذن لى الملك إن عرضتُ أن قوْله الكريم إنما يُعرِبُ عما أكن لسيدتى الأميرةِ من الحبِّ والإجلال وإنى أجدُ أقصى التَّشريف وغايةَ السعادة أن يأذَن لى الملك

فى أن أخطبَ سيدتى بثينةَ اليه .

الملك [ملتفتا الى بثينة] : وأنتِ ماذا تقولين يا بثينة ؟

«الأميرة تغضى حياءا وتسكت»

الملك : منَ الصمْتِ كلام .

الملك [الى أبو الحسن] : وأنتَ يا أبا الحسن ماذا ترى ؟

ابوالحسن : ما يرى الملك أفضلُ . فبما شئتَ فمرْنا يا مولاى ؟

الملك [الى الرميكية] : والملِكةُ ما رأْيها ؟

الملكة : قد أمرتَ يامولاى بما فيه الخيرُ جعله الله زَواجا مَقْروناً بالسعادةِ واليُمْن .

ابن حيون : أيأذنُ الملك لى أنا الآخرُ بالكلام ؟

الملك : تكلمْ يابن حيون فقد عرفتُ مودّتك وإخلاصك ، وتبينتُ نُصحَك واهتمامَك ، ولو لم يكن من احسانِك إلىّ والى أسرتى إلا تجشمُ هذه الرحلة من أشبيلية الى أغمات لكفى فى باب المروءةِ والوفاء .

ابن حيون : لا شكرَ على واجبٍ يا مولاى . وقد طوّقتنى الساعةَ منّـةً لا ينزِعُها من عُنقِ الموتُ بما رسمتَ من بناءِ هـذا الفتى الماجدِ الباسلِ بهذه الأميرة التى لم يلدِ الملوكُ أجمـلَ ولا أكملَ منها : والآن بقى لى ملتمسٌ أرجو أن يُجيبَنى الملكُ اليه .

الملك : اقترحْ يابن حيون تجِد ملَبّيًا مجيبا فيماتبلغه قدرةُ ملكٍ مخلوع .

[يخرج ابن حيون جرابا كان قد شدّه على وسطه ثم يفتحه و ينثره عند قدمى الملك فتنتثر اللالىء واليواقيت] .

الملكة : جواهر !

الأميرات : لآلئ ! يواقيت !

مقلاص : يالك من كنزٍ ثمينٍ غالٍ .

الملك [وهو ينحنى على الكنز] : ومن أينَ لك يا بنَ حيون كلُّ هـذا المالِ؟ فمثلُ هـذا الكنْز لا يكون إلا ذخيرةَ ملِكٍ وابنِ مُـلوك .

ابن حيون : هو كما تقـول يا مولاى ، فهـذا الكنزُ كان لملكٍ ووارثِ

ملوك، فساقته العناية إلىّ، واليوم قد هلك أصحابُه وبادُوا فأصبحَ لى وحْدى أتصرّف به كيف أشاءُ ، وبالأمسِ قوّمتُ هذه الجواهر بما يقربُ من ألف ألف دينار وأنا مقسّمٌ هذا المال ثلاثة أقسام : ثُلُثٌ تأخذه أنتَ يامولاى فتستعينُ بهِ على ما أنتَ فيه من الشدّة، وثلثٌ يأخذه حسون وزوجتُه فيعيشانِ به رغدا، والثلُثُ الثالثُ يكون لى ولأبى الحسن التاجر هذا [مشيرا إلى أبى الحسن] نؤسسُ به تجارةً ونعقدُ بيننا شركة نتحدّى بها تجاراتِ الفرنجة فى الأندلس .

أبو الحسن : ... الله أكبرُ أنتَ والله هو المغربى الذى دخل علىّ دارى وما كنت يومئذٍ إلا متنكرا مُحسِنًا للتنكُّر فأسوتَ جرْحى وحفظتَ على دارى واستنقذْتنى من عوادى البؤس والفاقةِ ، والآن تردُّ على تجارتى وتشاطِرُنى كرائم مالِك، فبأى لسانٍ أؤدّى شكرَ إحسانِك .

ابن حيون : بل اشكُرِ الله يا أخى فانى لم أُعِنك بمالى ولكن أعنتُك بمالِه

ولا أجدُنى صنعتُ يومئذٍ إلا واجبا ولا قضيْتُ إلا ديناً
علىّ للصداقَة القديمة وللوّد الصحيح .

الملك : لكن ما عساى أصنعُ يابن حيون بهذه الثَّروةِ وأنا كما ترانى
صيْد فى قيْد، وأسدٌ فى صفَد، وحىٌّ فى قبْر، ودنيا فى شِبْر
إنها لهِبة مشكورَة وان كانتْ والحِرمانُ سواء .

ابن حيون : لقد أراحَ الله بالكَ من هــذه الناحيةِ يا مولاى وأذهَبَ
عنْك الحزْن ... أما يسرُّك يا مولاى أن تَنْتقلَ من هــذه
القاْعةِ المظلمةِ الرطبة الى منزلٍ بظاهِرِ المدينةِ جديدِ البناءِ
حسنِ الأثاثِ تُحيــطُ به الأشجارُ من كل جانب ، فتنزِلَه
وقد طرحتَ هذه القيود فتستقبل الرَّاحة والحرّية وتمتعَ
بالعُزلةِ التى هامَ بها العقلاءُ فى كل زمان .

الملك : ومن لى بهذا الذى تصفُ يابنَ حيون ؟

ابن حيون : بل هو أمرٌ قــد تمّ يا مولاى فقدْ فُرِغ من شِرائه وتأثيثِه
وتهيئتِه لنزولِك به فى أهلِك وعيالِك ، وأما النُّقْلة فغــدًا

أو بعدَه إن شاءَ الله .

الملك : وابنُ تاشفين ... ؟

ابن حيون : هو الذى أمر أن يكون كلُّ ذلك وقد تذكر كلمتكَ المشهورةَ التى سارتْ مثلا فى فَمِ الأندلسِ : إذ سئلتُ أىّ المفزعيْن أحبُّ اليك : ملِك الأسبان أم سلطانِ المغرب فأجبتَ (رعْىُ الجمال ولا رعْىُ الخنازير) فأمر أن يحمل الَيك فى المنْزلِ الجديدِ بعيران من نجائبِ إبلِهِ لترعاهما له فى نَخيلةِ الدارِ الجديدة .

الملك [فى إطراق] : الآن تَذكرتُ . لقد سئلتُ مرة فى مجلس الحكم إن كان لابدّ لى أن أخضعَ لسلطان أو أدينَ لملكٍ بالطاعة فأى الملكيْن أفضّل وأى السلطانين أختار : سلطان المغرب أم ملك الأسبان؟ فأجبتُ : (أرعى الجمال عند أمير المسلمين ولا أرعى الخنازير لملك الأسبان) وأظن أن عبارتى هذه نُقلتْ يومذاك إلى ابن تاشفين فأعجبْته ووجدها شريفة .

بثينة : ولكن المُكافأةُ كانتْ غيرَ شريفة يا أبي .

الملك : تريدين يا بثينة أن تقولى إنّ مروءة السلطان لم تزد على أن جعلَنى راعيًا لجماله بعد ما سلبَ نعْمتى واغتصبَ مُلْكى، ونفانى أنا وأسرَتى فى أغمات .

الرميكية : هذا جهدُ الرجُلِ فى المروءة يا مولاى وهذه غايةُ كَرَمِه فلا تكلفه فوقَ قدْرةِ باعه ولا تسألْه ما ليسَ فى طِباعه .

الملك [لابن حيون] : ولكن قل لى يابنَ حيون من أخذَ لنا هذا التافهَ القليلَ من ذلك السلطان الشحيح ؟ ومن ذا الذى اجتهد لنا وصَنع كلَّ هذا حتى غيَّرَ رأىَ السلطان وصرَفه عن العُنْفِ إلى اللُّطْف ؟

بثينة : هو لاشك آبنُ حيون يا مولاى .

آبن حيون : ما اجتهدتُ ولا صنعتُ شيئا ولكن المالَ صنَع .

[ويشير الى الجواهر] .

الملك : سنذكر لك هذه الهمّة الكبرى يابنَ حيون .

بثينة : وتلك الهمّةُ الصغرى أتذكرها للسلطانِ يا مولاى، فقد

تسمّح فنقلكَ من هذه القَلْعة إلى دار غيرها فى أغمات .

الملك : [ويبتسم ابتسامة تهكم] : أعيشُ فيها حرًّا طليقا بيْن أربعةِ جدران وأرعى لَه فيها الجمال .

بثينة : أنتَ الذى رعيتَ لله فى أشبيليه قوما شيّدوا حضارَة الإسلام، وشعْبا عزيزا كريمًا طالما ناضلَ دونَ عرينه وصَبرَ على عَداوةِ الفرنجة وتألّبِهم عليه القرونَ الطوال .

[ستار]



وكان تمام طبع رواية أميرة الأندلس بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الثلاثاء ٢ رجب سنة ١٣٥١ (أول نوفبر سنة ١٩٣٢) م

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٣٣/١٩٣٢/١١٠٠٠)

